د. محمد توفيق صدقى

نظريتى فى قصة صلب المسيح

وقيامته من الأموات

دراسة وتحقيق وتقديم
خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

نظريتى

فى

قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات

تأليف: د. محمد توفيق صدقى

دراسة وتقديم: خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

al-maktabeh
www.com
مكتبة المهتدين

نظريتى فى قصة
صلب المسيح
وقيامته من الأموات

مكتبة المهتدين

I.S.B.N. 977-6189-90-3

9 789776 189904

مكتبة النافذة

نظريتى فى قصة صلب المسيح

وقيامته من الأمـــــــــوات

د. محمد توفيق صدقى

الطبعة الأولى / ٢٠٠٦

رقم الإيداع ١٥٧٥٧ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى ٣ — ٩٠ — ٦١٨٩ — ٩٧٧

الناشر : مكتبة النافذة

المدير المسئول : سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى ـ الثلاثينى ـ فيصل

تليفون : ٧٢٤١٨٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الكتاب الثالث[١] ، الذي نتشرف بنشره في مكتبة النافذه ، للعلامة : محمد توفيق صدقي ، وكعادتنا في نشر أمثال هذه الكتب تحرينا الدقة في الانتقاء ، فأتى نشر هذا الكتاب بعد بحث مستمر في منتوجات الأدبيات الدفاعية الإسلامية ، الخاصة بهذه القضية ، ولم يصلنا **في حدود الطاقة** من يعلو هذا الكتاب في نمطه المتميز في المعالجة بصبر وأناة ، وجهد جهيد في استخراج المعلومات من بطون الكتب التي لم نسمع لها صدى الآن ، بل لا أكون مبالغا ، حينما أقول أن المكتبة العربية الحالية ، لا تعرف لهذه الكتب مكانها ، ولا تكاد تمتلك منها نصا مترجما، أو في لغته الأصلية تبذله للقراء ، أو المتخصصين.

---

(١) نشرنا من قبل : كتابي : نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ، وبشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد .

نذكر أمثلة من هذه الكتب :

التوراة غير موثوق بها ، تأليف : Walter Jekyll .

الحقيقة عن يسوع الناصرة، تأليف: فيلب سدنيPhilip Sidney.

المسحاء الوثنيين ، تأليف : روبرتسن Robertson .

دين الخوارق ، تأليف : Superatuarl Religion .

ملخص تاريخ الدين ، تأليف : جولد Gould .

شهود تاريخ يسوع، تأليف : أرثر دروز Arthur drews .

وقد عالج صدقي الموضوع معالجة ، أصدق معبر عنهـا ، ما عنون به كتابه : نظريتي في قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات ؛ لأنه انفراد كامل له ، في الطرح والمعالجة ، عدا ما حكاه في آخر صفحتين من الكتاب ، تحت عنوان : استطراد لا بأس به ، من تفسيره لسورة التين ، فقد وجدته عند رشيد رضا صاحب المنار ، ووجدته عند العقاد .

وأرجو من القراء الكرام ألا يتسرعوا في قراءة هذا الكتاب، ففيه ما عانى صاحبه من أجله ، من الجهد الكثيـر ، ومـا لحقه من الضرر أكثر .

دعوى إنكار محمد توفيق صدقي للسنة النبوية :

كنت قد ذكرت في مقدمتي لكتاب : نظرة في كتـب العهـد الجديد وعقائد النصرانية . شيئًا عن هذه الدعوى ، ويبـدو

أن الأمر لم يستجل بعد لدى إخواننا السلفيين[١] والقرانيين[٢]، لذا أرى لازمًا أن نظهر حقيقة موقف الرجل، ولا يعبر عن ذلك بقطعية وبت في الأمر سوى ما خطه الرجل بيده ، ولحسن الحظ أنني وجدت له تعليقا على الموضوع منشور في نفس المجلد من مجلة المنار ، نذكره بنصه هنا :

كلمة إنصاف واعتراف

لـمحمد توفيق صدقي

يرى الناقد البصير أن ما كتبته في هذه المسألة ينحصر في بحثين ، بحث في السنة القولية وبحث في السنة العملية ، ثم

---

(١) ما زالت دعواهم هذه تتردد فيما يكتبونه من (تجريح وتعديل خاص بالسابقين) ، وتلوكها ألسن البعض منهم في محاضراته .

(٢) لم أر للقرانيين مرجعا ذكر أسماء منكري السنه من العلماء ، إلا أني رأيت إشارة من البعض بإدراج محمد توفيق صدقي في قائمة القرانيين ، فقد ذكره السيد محمد رضا الحسيني الجلالي في كتابه : دفاع عن القرآن الكريم الجامع للمسلمين على كلمة التوحيد . وأرى أن ذلك راجع إلى اعتماده على خادم حسين إلهي بخش السلفي ، الأُستاذ المساعد بكليّة التربية، جامعة أُمّ القرى ، في أطروحته التي نال بها درجة الماجستير تحت عنوان : القرانيون انظر : ص: ١٥٣.

وقد ذكر الدكتور عبد المجيد الشرفي في كتابه : الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، هامش ٢ص ٦٣، ٦٤.ط دار الطليعة بيروت .

يرى أن الرادّين عليّ لم يأتوا بشيء في المبحث الأول يشفي عليلاً أو يروي غليلاً .

وأن أستاذنا الكبير ومصلح الإسلام العظيم السيد محمد رشيد يوافقني في هذا البحث ، بل هو مرشدي الأول .

وأما البحث الثاني : السنة العملية ، فالشطط الوحيد الذي ارتكبته فيه على ما أرى ؛ هو إنكاري وجوب ما فهم الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أنه دين واجب ولم يكن مذكورًا في القرآن ، ولكن أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم ؛ عملاً واعتقادًا بدون أدنى اختلاف بينهم .

وأهم ذلك في الحقيقة مسألة ركعات الصلاة ، وأرى أن ما كتبه صاحب المنار الفاضل في هذه المسألة كافٍ في الرد عليّ .

فأنا أعترف بخطئي هذا على رؤوس الأشهاد وأستغفر الله تعالى مما قلته أو كتبته في ذلك ، وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى .

وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكر والتدبر هو أن الإسلام هو القرآن وما أجمع

عليه السلف والخلف من المسلمين عملاً واعتقادًا أنه دين واجب .

وبعبارة أخرى أن أصْلَي الإسلام اللذين عليهما بنيُ هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف ؛ أي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين .

ولا يدخل في ذلك عندي السنن القولية غير المجمع على اتباعها ، ولا ما كان ذا علاقة شديدة بالأحوال الدنيوية كبعض الحدود ومقادير زكاة المال والفطر والأصناف التي تؤخذ منها ؛ وغير ذلك مما لم يذكر في الكتاب العزيز .

فأبيح بعض التصرف في أمثال هذه المسائل إذا وجد عندنا مقتض ، وبهذا التقرير تزول جميع الإشكالات التي أوردتها في مقالتيّ السابقتين ، نسأل الله تعالى الهداية في القول والعمل ، والصيانة من الشطط والزلل[١] .

---

(١) وقد ذيّل المقالة الشيخ رشيد رضا بقوله : نحمد الله أن ظهر صدق قولنا في الرجل وأنه معتقد ، ويذعن لما يظهر له أنه الحق .

راجع : مجلة المنار ، المجلد ١٠، الجزء ٢ ، ص ١٤٠ ، صفر ١٣٢٥ – أبريل ١٩٠٧ .

الداعي إلى تأليف الكتاب :

لماذا كانت كتابة صدقي في هذا الوقت عن قضية الصلب؟ ربما حمله على ذلك ما ذكره محمد رشيد رضا ، حيث قال :

جاء في الجزء الأخير من الجريدة البروتستنتية نبذتان في الطعن بالإسلام : إحداهما محاورة في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وقيح ، وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبيه مع شيء من الأدب ونراها في هذه المدة هتكت ستار الأدب وتجاوزت حدوده ، مع أننا كنا نرجو أن تزيد في تحريه بعدما أسند تحريرها إلى نقولا أفندي روفائيل الذي نعرفه دمثًا لطيف الشمائل ، ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بضعف نفوس المسلمين في هذا القطر فَعَلا في نفوس هؤلاء الدعاة إلى النصرانية ما لا تفعل الخمر ، فصار الواحد منهم إذا نسب الافتراء إلى سيد الأنبياء بالتصريح وكتبه ونشره يرى نفسه كأنه قد جلس على كرسي ميناس الأول أو رعمسيس الأكبر .

ونحن نقول : **إن الحرية تنفع الحق ولا تضره ، وإن سوء الأدب يضر صاحبه ولا ينفعه وإن الشعب الضعيف قد**

يقوى بشدة الضغط المعنوي عليه فيتنبه إلى التمسك بحقه والدفاع دونه وعند ذلك تزهق الأباطيل .

وإننا لم نطلع على ما ذكر إلا بعد تهيئة أكثر مواد هذا الجزء من المنار فاختصرنا مقالة الخوارق والكرامات وكتبنا بدل تتمتها هذه الكلمات ، ونرجئ تفنيد أقوالهم في القرآن إلى الجزء الثالث من المنار ، ونخص كُليماتنا هذه في مغامز ذلك الحوار .

ذكرت المجلة أن الحوار كان في مكتبة البروتستان في السويس بين محررها وبعض المسلمين ، وأن المسلم احتج بالقرآن على نفي الصلب فأجابه المحرر : هبْ أنك كنت معاصرًا للمسيح وممن يعرفونه شخصيًّا وحضرت في مشهد الصلب خارج أورشليم فماذا كنت ترى ؟

قال : كنت أرى ، ولا شك ، المسيح مصلوبًا كما رآه الجمهور .

قلت : وماذا يكون إيمانك ويقينك حينئذ ؟

قال : كنت أوقن وأؤمن وأشهد أنه صُلب حقًّا كما أبصرت بعيني وأبصر الجمهور في رائعة النهار .

قلت : افرض أنك فيما أنت مؤكد بهذا التأكيد عن صلب

المسيح وإذا برجل أمي من العرب – أولئك القوم المشركين – يقول لك : أنت المؤمن وقد مضى على حادثة الصلب نحو سبعمائة سنة عبارة القرآن هذه : **(وما صلبوه وما قتلوه)** (كذا) فهل تستطيع أن تكذب عَيَانَك وعيان الجمهور وتصدق خبر هذا الأمي ؟ وهل الخبر أصدق من العيان ؟

قال : إذا كنت أعلم أن هذا الأمي المكذب للصلب رسول الله فأصدق خبره وأكذب عياني وعيان الجمهور ؛ لأن الله أعلم منا بحقائق الأمور .

قلت : وهل علمت أنه رسول الله وأن هذه العبارة من وحي الرحمن ، لا من تلقين الشيطان ؟

قال : نعم علمت ذلك بدون شك .

أجبنا : كيف علمته ؟

قال : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم لما بعث رسولاً أيده الله بالمعجزات الباهرة .

قلت : ليس لمحمد معجزة ؛ بدليل قوله : **(وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ)**(الإسراء : ٥٩).

ولكن هب أن له معجزة وأنت رأيتها فبأي حق تُرجح حكم حسك في رؤية معجزات محمد على حكمه في رؤية صلب المسيح ؟

أوَ لست تعلم أنه إذا أرى اللهُ الناسَ شيئًا على خلاف حقيقته، ثم كذَّب ما أراهم إياه لا يعود الناس يصدقونه إذا أراهم شيئًا على حقيقته !

تعالى الله عن ذلك التلاعب ، وهل هذا هو الدليل القرآني الذي تحاول أن تنفي به حقيقة شهدت لها الكتب المقدسة من قبل ومن بعد ، وأثبتها التاريخ والآثار وعاينها جمهور عظيم من كل أمة تحت السماء ؟ !

وعند سماعه حجتي لم يكن عنده رد عليها وأمسك عن الكلام وخرج هو وأصحابه ! وعدا ذلك اعلم – أيها القارئ العزيز – أن عبارة القرآن : **(وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ)** (النساء : ١٥٧) منقولة عن بقايا فرقة صغيرة من النصارى قد مرقت عن الحق يقال لها : **الدوسيتيين** ، الذين اعتقدوا بلاهوت المسيح تمامًا كما تعتقد النصارى اليوم ومن البدء ؛ ولكنهم أنكروا ناسوته .

وزعموا أن الجسد الذي ظهر به المسيح إنما كان صورة فقط لا حقيقة له أشبه بالظل والخيال وأوّلوا الآيات الإنجيلية التي تثبت كون جسده كسائر الأجساد ما عدا الخطيَّة ، فقالوا عن نموه في القامة : ما كان ينمو ولكن شبه لهم وعن تناوله الطعام قالوا : ما كان يأكل ولا يشرب ؛ ولكن شبه لهم ، وعن نومه وسائر أعماله الجسدية المشار إليها في الإنجيل قالوا : لم تكن حقيقية بل شبهت لهم وعن صلبه وموته قالوا : (ما صلبوه وما قتلوه ولكن شبه لهم) فمحمد إذ سمع مقالتهم بصلب المسيح صورة دون الحقيقة ، ولم يكن يعلم المبدأ الذي ترتب عليه هذا القول بادر بالمصادقة عليه رغبة في تنزيه المسيح عن الموت المهين ونكاية في اليهود ، والدليل على ذلك أن مقالة التشبيه هذه لا يمكن أن تخطر مباشرة على بال عاقل ما لم يكن لها مبدأ كالذي ذكرناه اهـ .

هذه هي **المحاورة** التي أوردها بحروفها **ونقول** له في **الجواب** :

إن الإسلام سيهدم الوثنية التي غشيت جميع الأديان السماوية، حتى يرجع الناس إلى الدين القيم دين التوحيد

القائم على أساس الفطرة المطابق للعقل حتى يعترف الناس أن الوثنية السفلى كعبادة الحجر والشجر مثل الوثنية العليا ، وهي عبادة البشر ، فهو يهدم كل دين بالبراهين الراجحة ، فكيف تقوى عليه هذه السفسطة الفاضحة ؟ !

إذا فرضنا أن أجوبة المسلم له كانت قاصرة في معناها على ما كتبه ، فلا شك أن ذلك المسلم عامي غِرٌّ ، والظاهر أنه زاد في القول ما شاء وحرَّف فيه ما شاء كما هي عادتهم ، وكما تدل عليه المبالغة في تأكيد الصلب من المسلم ؛ بناءً على ذلك الفرض ككلمة :

(كنت أرى ولا شك) وكلمة (كما رآه الجمهور) وكلمة (كنت أوقن وأؤمن وأشهد) ومن عادة المنكِر إذا أقر بشيء على سبيل التسليم الجدلي الفرضي أنه لا يؤكده بمؤكد ما ، فكيف نصدق أن ذلك المسلم انسلَّ من هذه العادة الطبيعية العامة وغلا كل هذا الغلو في تأكيد الصلب ، ثم انقطع عن المناظرة ، وتوهم أنه رأى المسيح مصلوبًا حقيقة وحار في التطبيق بين مشاهدته ، وقول مَن قام البرهان على عصمته ؟ !

ونحن نذكر للكاتب البارع جواب المسلم العالم بدينه عن هذه المسائل .

أما **الجواب عن السؤال الأول :**

فكل من يعرف الإسلام يقول فيه :

إنني لو كنت في زمن المسيح وكنت أعرف شخصه لجاز أن يشتبه عليَّ أمر تلك الإشاعة كما اشتبه على غيري ، فالنصارى أنفسهم لا ينكرون أنه وقع خلاف في الصلب ، وأن بعض الأناجيل التي حذفتها المجامع بعد المسيح بقرون كانت تنفي الصلب ، ومنها إنجيل برنابا الذي لا يزال موجودًا رغمًا عن اجتهاد النصارى في محوه من الأرض كما محوا غيره .

وإذا كانت المسألة خلافية وكان الذين اختلفوا فيه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن فما علينا الآن إلا أن نأخذ بما قاله عالِم الغيب والشهادة في كتابه المنزل على نبيه المرسل .

وبهذا الجواب سقط السؤال الثاني وجوابه وكذلك السؤال الثالث .

ومع هذا نقول : إن السؤال الثالث غير وارد بحال فإنه ليس عندنا مسألة مشاهَدة وجاءنا **رجل** أمي من المشركين

يكذبها ولو وقع هذا لكذبنا المشرك الأمي وصدقنا بصرنا .

وإنما عندنا **مسألة تاريخية** اختلف فيها الناس ، وظهر فينا نبي أمي باتفاق جميع الأمم ؛ ولكنه علمنا الكتاب والحكمة وهدم الشرك والوثنية من معظم الممالك بقوة إلهية أعطاه الله إياها .

ومما جاء به حل عُقد الخلاف بين الملل الكبيرة ومنها هذه العقدة فوجب اتباعه في ذلك .

وعجيب من نصراني يبني دينه على التسليم بأقوال مناقضة للحس والعقل في كتب ليس له فيها سند متصل ، ثم يحاول هدم كتاب سماوي منقول بالتواتر الصحيح حفظًا في الصدور والسطور بمعول وهمي ، وهو فرض أننا رأينا المسيح مصلوبًا وما رأيناه مصلوبًا ، والفرض الموهوم لا يمس الثابت المعلوم ، يقول هذا النصراني : إن التوراة التي يحملها هي كتاب موحى من الله تعالى وكله حق .

وفي هذه التوراة مسائل كثيرة مخالفة للحس والبرهان العلمي فكيف يؤمن بها ؟ كيف يؤمن بقولها إن الرب قال للحية : (وترابًا تأكلين كل أيام حياتك) وهذه العبارة تفيد بتقديم المفعول أنها لا تأكل غير التراب وقد ثبت بالمشاهدة

أنها تأكل غير التراب كالحشرات والبيض ولا تأكل التراب مطلقًا .

وكيف يؤمن بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وأن كلاً من هذه الوحدة وهذا التعدد حقيقي ؟ وأمثال ذلك كثير في الكتابين .

وأما السؤال الرابع فجوابه أننا علمنا أن محمدًا رسول الله، وأن ما جاء به وحي من الله بالبراهين القطعية ، ومنها ما أشرنا إليه آنفًا في مقالات الكرامات والخوارق ، ..... ، وقررناه بالتفصيل في مقالات سابقة ، وأثبتنا آنفًا من نص توراتكم وإنجيلكم أن الآيات والعجائب الكوَنية لا تدل على النبوة وأنها تصدر على أيدي الكذبة والمضلين .

هذا إذا سلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤتَ إلا آيات الكتاب العلمية ، وما كان على يديه من الهداية العملية وكلاهما يدل على نبوته كما تدل المؤلفات النفيسة في علم الطب والمعالجات الناجعة النافعة على أن صاحبها طبيب بخلاف عمل العجائب ، إذا جعل دليلاً على أن صاحبه طبيب ؛ لأنه لا ينخدع به إلا الجاهلون ؛ لأنه لا علاقة بين معرفة الطب وبين عمل الأعجوبة .

وللمسلم أن يقول : إن النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم قد أُوتي آيات كونية كثيرة ولكنه لم يجعلها هو ولا أتباعه من بعده عمدة في الدعوة إلى دينه ؛ لأن دلالة هذا النوع من الآيات أضعف ، ولأن خاتم النبيين جاء يخاطب العقول ويؤيد العلم ويحدد الأسباب ويبطل السحر والكهانة والعرافة والدجل ؛ ليرتقي الإنسان بعلمه وعمله ولا يستخذي لعبد من عبيد الله تعالى .

وأما قوله تعالى : (**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ**)(الإسراء : ٥٩) فهو مخصوص بالآيات التي تقترحها الأمة ، فتعريف الآيات فيه للعهد ، بدليل ما رواه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني وغيرهم في سبب نزوله وهو أن قريشًا اقترحت على النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحّي عنهم الجبال فيزرعوا !

ولا يخفى أن هذه أسئلة تعنت وعناد وإلا فالآية أو الآيات التي أيده الله تعالى بها بينة لم يقدروا على معارضتها ولا نقضها .

ولما طلبوا آية غير معينة كما هنا نزل قوله تعالى :

(أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) (العنكبوت : ٥١) .

وأما قول النصراني : إن محمدًا أخذ إنكار الصلب عن الدوستيين، فهو من اللغو الذي يعرض عنه المسلم ؛ ولكننا نذكر بمناسبته خليقة من خلائق هؤلاء المعتدين من دعاة النصارى وطريقتهم **في الاعتراض على القرآن** ، وهي أنهم **يقولون** فيما ورد فيه عن الأنبياء والأمم مما هو معروف ويعترف به أهل مذهبهم : **إنه أخذه عنا وليس وحيًا من الله** .

وفيما هو معروف عند غيرهم ولم يوافق أهواءهم : إنه مأخوذ عن الطائفة الفلانية الكاذبة الضالة المبتدعة وليس وحيًا ! وفيما لا يعرف عندهم ولا عند غيرهم كالأمور التي جهل تاريخها واندرست رسومها : إنه غير صحيح ولا وحي ؛ لأنه لا يعرفه أحد ، ولا يخلو الكلام في الأمم من هذه الأقسام ، والنبي الأمي لم يتعلم من أحد مذاهب الأمم وآراء الفرق المختلفة ؛ لأنه لم يكن في بلاده من يعرفها ؛ ولأنه لم يكن يعرف غير لغة قومه الأميين الجاهلين ؛ ولأنه

لم يوافق طائفة في كل ما تقول وتَدين بل اتبع الوحي المنزل عليه من الله والله علام الغيوب .

وإن لنا في هذا المقام تنبيهًا آخر : وهو **أن اعتداء هؤلاء المعتدين على الإسلام وتصدينا للرد على أباطيلهم عقبة في طريق الدعوة إلى الاتفاق ، وإزالة الضغن والشقاق والتعاون على عمارة البلاد** ؛ فإن المسلمين يعلمون أن هؤلاء الطاعنين في الإسلام مستأجَرون من قِبل الجمعيات الدينية ؛ لتشكيك عامة المسلمين في دينهم وإهانة كتابهم ونبيهم ، وأن هذه الجمعيات تنفق على دعاتها في كل سنة أكثر من ثلاثة ملايين جنيه لأجل هذا الغرض ، ونتيجة هذا أن النصارى بمجموعهم لا يمكن أن يرضوا عن الأمة الإسلامية حتى تتبع ملتهم ؛ فالذنب في كل عداوة وشقاق على النصارى دون المسلمين .

وأما ردنا عليهم وتصدينا لبيان أباطيلهم فلا ينبغي أن يكون له تأثير سيئ في النصارى ؛ لأنه دفاع لا اعتداء فإن رد الشبهات الواردة على الدين فريضة دينية على جميع المسلمين إذا لم يقم بها أحد كانوا جميعًا عصاة لله تعالى فاسقين عن أمره ، فنحن ندفع الحرج عن نفسنا

وعن جميع المسلمين في هذه البلاد بحكم الاعتقاد المالك لروحنا والمتصرف في إرادتنا وهم ليسوا كذلك .

ومن البلاء أن هؤلاء الطاعنين لا يؤثر فيهم البرهان ؛ لأنهم لا يطلبون الحق وإنما يطلبون المال فإذا استطعنا إسكات غيرهم ممن يكتب لمنفعة شخصه فلا يتيسر لنا إسكاتهم لأن منفعتهم الشخصية مرتبطة بهذا الطعن ؛ ولذلك نضطر إلى الرد عليهم دائمًا عملاً بالواجب المحتم علينا في الدين **فلا يلومنا عقلاء النصارى الذين عرفوا مضرة التعصب الذميم بل يجب عليهم أن يساعدونا عليهم بتخطئتهم في سيرهم** . وإن كانوا راضين منهم فهم أنصارهم وأولياؤهم . والله وليّ المؤمنين[1].

هذا وفي رحلة البحث عن الكتب التي تتعلق بقضية الصلب، اطلعت على كتاب للأستاذ حبيب زيات[2]، تحت عنوان :

---

(١) راجع : مجلة المنار، مجلد ٦جزء ٢ص٦٢ ، المحرم ١٣٢١ ــ مايو ١٩٠٣) . وقد اشترك كل من صدقي ، ورشيد رضا في تحرير كتاب عن الصلب والفداء ، طُبع بالمنار سنة ١٣٣١هـ .

(٢) طُبع بمطبعه الآباء بولس في حريصا سنة ١٩٣٥، وقد أعيد طبعه حاليا بدار المشرق بيروت .

الصليب في الإسلام ، وقد غالط المؤلف الفاضل فيه كثير فذكر ما يؤيد دعوى أن الصليب مصدر فخار للمسلمين ، وتبياناً للحقيقة رأيت من واجبي – كما نوه رشيد رضا أعلاه – أن أتحدث في هاتين النقطتين الفرعيتين :

الصليب في اللغة .

الصليب في الحديث .

الصليب في اللغة

الصلب مصدر صلبه، يصلبه، صلباً، وأصله من الصليب[1].

والصلب : هو القتلة المعروفة التي يوضع فيها المصلوب على خشبتين علي شكل خطين متقاطعين أو غير متقاطعين (I T †X).

وفي القرآن الكريم قوله تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ) (النساء: ١٥٧).

{ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ } (طه : ٧١).

{ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي

---

(١) راجع : لسان العرب لابن منظور ٥٢٩/١، ومختار الصحيح ٣٦٧، و(منجد الطلاب ٤١٠، وهذا القاموس يعبر عن الوجهة النصرانية، فقد صدر عن دار المشرق ببيروت المطبعة الكاثوليكية)، وقاموس الكتاب المقدس ص٥٤٥، ٥٤٦.

ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ } (المائدة : ٣٣).

{ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } (الأعراف : ١٢٤).

{وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ } (يوسف : ٤١).

{يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } (الطارق : ٧).

وقال الليث : الصليب : ما يتخذه النصارى قِبْلَة، والجمع صُلْبَان، وصُلُب.

والصليبان : الخشبتان اللتان تُعرضان على الدلو كالعرقوبتين، ويقال: صلَبَ الدلو وصلَبها.

وفي مقتل عمر : خرج ابنه عُبيدًا فضرب جُفينة الأعجمي، فَصلَّب بين عينيه، أي : ضربه على عُرْضه حتى صارت الضربة كالصليب.

وفي قاموس الكتاب المقدس :

صلَب، يَصلُبُ، صَلْبًا، صَلِيب:

صلب الضحية : تعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفضع : بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية.

وكانت طريقة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة، فقد حكم الإسكندري الكبير على ألف صوري بالصلب... وعند الرومان كان الصلب قصاصاً للعبيد، أو لمن يرتكب أقبح الجرائم، وأما المواطن العادي فقد عفاه القانون صراحة من هذا القصاص، ولكن في ظل الإمبراطورية فرض على المواطنين أنفسهم حتى ألغاه الملك قسطنطين لأسباب دينية، وكثيراً ما كان يسبق الصلب تعذيب الضحية بالجلد... ولما كانت الضحية تُعلق على الصليب تعليقاً فإنها ما كانت تموت إلا بعد فعل الجوع والعطش، وأحيانا هذه كانت الحال لما كانت اليدان والرجلان مسمرتين بالمسامير، وإذا كان من الضروري لسبب من الأسباب التخلص من الضحايا قبل دنو أجلهم كان يوضع حد لحياتهم بكسر سيقانهم كما صُنع باللصين المصلوبين مع يسوع... وإلي موت المسيح وبعده كان الصليب علامة الذل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الإهانة، ولكن بعد آلام يسوع صار أتباعه ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة. (انتهى من قاموس الكتاب المقدس).

وهذه النظرة المختلفة يذكرها (معجم اللاهوت الكتابي ص٢٧٢):

(لقد مات يسوع مصلوباً، فأصبح الصليب الذي كان آداة للفداء، مع الموت والألم والدم، أحد الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، إنه لم يعد من العار بل أصبح مطلباً وعنواناً للمسجد، للمسيح أولاً ثم للمسيحيين من بعده.(١)

الصليب في الحديث

من الثابت دينياً أن الصليب في اليهودية والإسلام مصدر

---

(١) يستخلص من قاموس الكتاب المقدس هذه النتائج :

أ – فكرة الصلب والضحية قديمة وهي وثنية في الأصل.

ب – أن الصلب يكون بربط اليدين والرجلين، ولا يؤذي اللحم بالثقب بالمسامير.

جـ – على فرض أن الصلب يكون بدق المسامير في الجسم، فإن المصلوب لا يموت إلا عطشاً وجوعاً.

د – لأن المصلوبين بجوار يسوع لم يؤثر فيهما التسمير كسروا ساقيهما.

هـ – على فرض صلب المسيح فإنه لم يوضع حد لحياته كما فعل باللصين.

و – وتماشياً مع هذا الفرض فمن الممكن أن ما حدث للمسيح :

قُبض عليه، ثم عُلق على الصليب بربط يديه ورجليه، ولما كانت الفترة لا تتجاوز اليومين، فإن الصلب لم يؤثر فيه جوعاً أو عطشاً، ومن ثم فإنه لم يمت، وعندما أنزله تلميذه كان يؤمن به سراً من السهنورين، ووضعه في القبر وضعه حياً ، ولما أرادوا أنيرونه في القبر، فلم يجدوه، وظهر لهم شخص وقال لهم: لما تطلبون الحي من بين الأموات.

ذل وعار لا مصدر فخار، ومنه فلا يقبل القول بأن الإسلام تأثر بالمسيحية، وأخذ عنها البسملة باعتبار أن : (بسم الله الرحمن الرحيم) تساوي باسم الأب والأبن والروح القدس.

فهل تحدث نبي الإسلام عن الصليب، هل ذكر في الأحاديث النبوية؟ وإذا كان قد ذكره فهل مدحه ورفع من شأنه؟!

- **الصليب يساوي الوثن :**

ذكر الترمذي في سننه عن عدي بن حاتم أنه قال : (أتيت النبي صل الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال صلى الله عليه وسلم: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن). (٢٧٨/٥)

فاعتبر النبي صلي الله عليه وسلم أن الصليب مساوي لوثن، فكما أن الوثن مظهر من مظاهر تجلي الإله في الديانات الوثنية، وهو الواسطة بين الخلق والإله، ومن ثم فينبغي نبذه وتركه باعتباره لوثة عقلية، فكذلك الصليب لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن النصارى إنما يعتقدون في الصليب أنه رمز الخلاص والفدا الإلهي لجميع البشر، فقد صُلب عليه الرب المخلص يسوع، ومن ثم أمر عدي بن حاتم بأن يرتفع عن هذا السفه.

- الصليب انحراف عن التعاليم الأولي للمسيح.

تُنبئنا المصادر الإسلامية أن الديانة المسيحية كانت في أصلها السماوي الذي أوحى به إلى عيسى بن مريم عليه السلام ديانة توحيد تنزيهه ترفع من المستوى الحيواني إلى المستوى الروحاني، وتأمر بعبادة الله وحده { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ }(المائدة ١١٧)

ولذلك - وحسبما ورد في السنن الصحيحة - أن المسيح عند عودته آخر الزمان، ورؤيته لهذه التعاليم المسيحية المحرفة، يغضب لله، فيقوم بتدمير المعالم الزائفة ويثبت المعالم الحقة لدين الله.

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم {وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً} (أخرجه البخاري ومسلم).

- اتخاذ الصليب شعاراً للديانة حرمان من النعيم.

تُمثل رؤية الله في القصور الإسلامية غاية المُنى في النعيم الأخروي، فلا يعدل الرؤية عطاء من الله. فيتجلى الله لعباده المؤمنين، ويكشف عن سبحات وجهه، ويرونه كما يرون القمر والشمس إذا كانت صحواً، ويقتصر هذا النعيم على المؤمنين فحسب، ويُحرم من دونهم، فيحرم من يعبد وثناً، أو يتخذ إلهاً غير الله، أو يندرج مع أصحاب الصليب، فكل هؤلاء يتساقطون في جهنم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم (فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم.. ثم يؤتى بجهنم.. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون، فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال : اشربوا فيتساقطون "في جهنم") (البخاري ١٥٩/٣ ط دار الشعب)

- الصليب كالنجاسة .

اعتبر الإمام علي بن أبي طالب الصليب كالنجاسة، وذلك حينما مسه، أعاد وضوءه لكي يصلي طاهرًا، ولقد ذكر هذه

الحادثة الإمام عبدالرزاق في مصنفه (باب مس الصليب ١/١٢٥).

عن أبي عمرو : أن علياً استتاب المستورد العجلي وهو يريد الصلاة

وقال : إني استعين بالله عليك.

فقال : وأنا استعين المسيح عليك.

قال : فأهوى علي بيده إلى عنقه فإذا هو بصليب، فقطعها، فلما دخل في الصلاة قدم رجلاً وذهب، ثم أخبر الناس : أنه لم يُحْدُثْ ذلك بِحَدَثٍ، لكنه مس هذه الأنجاس، فأحب أن يحدث منها وضوءًا.

- النبي محمد صلى الله عليه وسلم يكره الصليب وما يشابهه.

نظراً لأن تعليق الصليب في الرقبة أو دقه كوشم أو الإمساك به، يتبعه لوثة اعتقادية تهوى بصاحبها إلى مدارك الجحيم، ونظراً لأن أصحاب هذه الاعتقادات الفاسدة يعاندون الحق والذوق السليم، فإن النبي محمد صاحب العقل الراجح وأفضل البشر على الإطلاق، كان يكره صورة الصليب بشتى أنواعها، حتى إذا اختلطت بثوب، بل إنه كره

أشياءًا لوكنها تشبه الصليب فحسب.

ذكر السيوطي في الجامع الصغير أن النبي كان يكره الشكال[1] من الخيل، لكونه يشبه الصليب) (٣٥٧/١).

وذكر ابن حجر في فتح الباري (٣٨٥/٠١) أن النبي كان لا يترك في بيته شيئا فيه تصاليب أو ما يشبه صورة الصليب.

وذكر ابن منظور في لسان العرب عن أم سلمة أنها كانت تكره الثياب المصلبة، لأن النبي يكره ذلك.

وفي الحديث : نهى عن الصلاة في الثوب المصلب، وهو الثو الذي فيه نقش أمثال الصلب.

وفي حديث عائشة – رضي الله عنها – :

فناولتها عطافاً فرأت فيه تصليباً فقالت نَحيِّه عني.

وفي الحديث : صليت إلى جنب عمر – رضي الله عنه – فوضعت يدي على خاصرتي فلما صلى وقال: هذا الصَّلْبُ في الصلاة، كان النبي ينهى عنه، أي أنه يشبه الصلب، لأن الرجل إذا صُلِبَ مُدَّ يَدُه وباعد على الجذع وهيئة الصلب

---

(١) الشكال : هو القيد أو تقييد الدابة، وصورته : أن تكون ثلاثة قوائم مُحَجَّلة، وواحدة مُطْلَقة، أو ثلاث قوائم مُطْلَقة ورجل مُحجَّلة، ولا يكون الشكال إلا من الرجل (مختار الصحاح ٤٤٣).

في الصلاة : أن يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام.

- الصليب في آخر الزمان

ذكر ابن حبان في صحيحه تحت عنوان :

ذكر لأخبار عن تمني المسلمين حلول المنايا بهم ثم وقوع الفتن: عن جبير بن نفير عن ذي مخبر ابن أخي النجاشي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزو أنتم وهم عدو من ورائهم، فتنصرون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم : غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين.. بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه، و...) (١٠١/١٥)

وذكر ابن ماجة (٣٠١/١) في شرحه لمعنى (ذي تلول، والصليب) :

ذي تلول : جمع تَلّ بفتحها وهو مرتفع، والصليب هو خشبة مربَّعة يدعون أن عيسى عليه السلام صُلِبَ على خشبة كانت على تلك الصورة.

وورد ذكر الصليب عند الترمذي في سننه (باب ما جاء في خلود أهل الجنة والنار) (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين، فيقول : ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدونه، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره..).

- **يظهر مما سبق** : أن الصليب يعادل الوثن، وهو كالقيد للعقول عن رؤية الحق، وأنه ملعون، وأنه مكروه، وأنه قبيح المنظر، ولا يصح لعاقل أن يعلق صليباً في رقبته أو يدقه وشماً، لما يتبعه من فكر ساذج لا يقتنع به الصبية فضلاً عن الرجال ذوي الألباب.

كتبه :

خالد محمد عبده *

* : للتواصل : khaled_hagag١@yahoo.com

نظريتي في صلب المسيح وقيامته

ذهب علماء الإفرنج المحققون في تعليل منشأ هذه المسألة مذاهب شتى لأنهم لايعتقدون حصول هذه القيامة الموهومة.

ولسنا في حاجة إلى نقل آرائهم في مثل هذه المقالة ، ومن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ مؤلفات رينان وإدوارد كلود ، ودائرة المعارف المتعلقة بالتوراة ، وكتاب دين الخوارق وغير ذلك .

وإنما نريد الآن أن نقول كلمة في هذا الموضوع لنزيل الغشاوة عن أعين هؤلاء الناس الملقبين بالمبشرين وهي نظريتي[١] في هذه المسألة فنقول :

---

(١) حاشية : النظرية هي الرأي الذي يقال لتفسير بعض المسائل وتعليل بعض الحقائق تعليلاً عقليًا مقبولاً ، فنحن في هذه المقالة قد فرضنا جدلاً صحة أكثر ما في هذه الأناجيل من الحكايات وسلمنا أن لبعضها الآخر أصلاً صحيحًا ، وما رفضناه منها إنما هو لسبب معقول ولكن علمنا بما فعل منتحلو النصرانية الأقدمون من التلاعب والتحريف والغش والتزوير فيما وصل إلى أيديهم من الكتب سواء كانت لهم أو لغيرهم من الأمم وافتجارهم الرسائل الكثيرة والكتب العديدة ونسبتها إلى غير مؤلفيها - كل ذلك يحملنا على الشك في جميع ما نقلوه ورووه .

ولذلك نرى علماء النقد الآن في أوربة يشككون في جميع هذه الكتب المقدسة عندهم ويرفضونها بالبراهين العلمية العقلية التاريخية الصحيحة ومنهم من تغالى حتى أنكر وجود المسيح نفسه في العالم لكثرة ما علمه عن القوم من الأباطيل والاختراعات والأكاذيب والمفتريات ، راجع : (دائرة معارف التوراة مجلد ٣ ص ٣٦٢٠ ، وكتابات المستر ج م روبرتسن).

كان بين تلاميذ المسيح رجل يدعى يهوذا ، وهو من قرية تسمى خريوت في أرض يهوذا فلذا عرف بالأسخريوطي ، وكان يشبه المسيح في خلقته شبهًا تامًّا[١] ومن المعلوم أن المسيح كان يدعو الناس إلى دينه في الجليل ولكنه كان يذهب إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح كما هي عادة اليهود فزارها في السنة الأولى من بعثته وكان هو وأتباعه القليلون محتقرين فيها لأن اليهود كانوا يحتقرون أهل الجليل وخصوصًا سكان الناصرة[٢] فما كان أحد يبالي

---

(١) حاشية : ذكر العلامة جورج سيسيل الإنكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران ص٣٨ أن السيرنثيين Cerinthians والكربوكراتيين Carpocratians وغيرهم من أقدم فرق النصارى قالوا إن المسيح نفسه لم يصلب وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه يشبهه شبهًا تامًّا ، وفي إنجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذي صلب بدل المسيح هو يهوذا الأسخريوطي وهو الذي قالت عنه كتبهم أنه انتحر يوم الصلب(متى ٢٧ : ٣-٨) لأنهم لم يجدوه

والظاهر أنهم لم يعرفوا ما حدث له ولذلك اختلفت تفاصيل قصته في سفر الأعمال (١ : ١٨ -٢٠) عما في إنجيل متى فلهذا كله ذهبنا إلى أنه كان يشبه المسيح وأنه هو الذي صلب بدله كما في المتن .

(٢) حاشية : دعوى ولادة المسيح في (بيت لحم) قد كذَّبها علماء النقد في أوربة وبينوا أن الإحصاء الذي يقول لوقا أنه حمل مريم أم عيسى ويوسف على السفر إلى بيت لحم للاكتتاب هناك لو (٢ : ١-٧) لم يحدث إلا في مدة ولاية كيرينيوس الثانية أي بعد ولادة عيسى بنحو ١٠ سنين على الأقل والذي حمل النصارى على هذا التلفيق رغبتهم في تطبيق نبوات اليهود وأفكارهم على المسيح كما في ميخا(٥ : ٢-٩) فإن اليهود كانت تعتقد أن المسيح لا بد أن يكون من نسل داود ومولودًا في مدينته التي ولد فيها (بيت لحم) مع أن نسل داود كان قد انقرض قبل زمن المكابيين ، ولم يقف أحد له على أثر. راجع : الفصل الثاني والخامس عشر من كتاب (رينان) في حياة المسيح .

بهم أو يلتفت إليهم ، وفي السنة الثالثة من بعثته لما زارها في المرة الأخيرة من حياته كان شأنه قد ارتفع عن ذي قبل وكثرت أتباعه فحقد عليه رؤساء اليهود الذين استاءوا من أقواله وأعماله وتعاليمه فصمموا على الفتك به واتفقوا مع يهوذا الإسخريوطي على أن يدل مبعوثيهم عليه ليقبضوا عليه فذهب يهوذا معهم ودلهم عليه فإنهم ما كانوا يعرفونه (مرقس ١٤ : ٤٣ - ٤٦) فأمسكوه وكان ذلك ليلاً وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة فتركه جميع التلاميذ وهربوا (مر ١٤ : ٥٠) ولكن تبعه بطرس من بعيد ثم أنكر علاقته به وفر هو أيضًا هاربًا ، وأما دعوى صاحب الإنجيل الرابع أن يوحنا تبعه أيضًا (يو ١٨ : ١٥ - ١٨) فالظاهر أنها مخترعة من واضعه لمدح يوحنا كما سيأتي بيانه وإلا لذكرها الثلاثة الإنجيليون الآخرون .

ولما كان الصباح ساقوه إلى بيلاطس الذي كان يود إنقاذه منهم ولكن الظاهر من الأناجيل أنه لم يفلح فحكم بصلبه فأخذه العسكر إلى السجن حتى يستعدوا للصلب ، ففر من السجن هاربًا إما بمعجزة أو بغير معجزة كما فر بعض أتباعه بعده من السجون أيضًا (راجع أ ع ١٢ : ٦-١٠

و١٦ : ٢٥ و٢٦) وربما ذهب إلى جبل الزيتون ليختفي (انظر مثلاً يو ٨ : ١ و٥٩ و١٠ : ٣٩ و١١ : ٥٣ - ٥٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه بجسمه أو بروحه فقط فخرج الحراس للبحث عنه ، وكان يهوذا مسلمه قد صمم على الانتحار وخارجًا ليشنق نفسه في بعض الجبال (متى ٢٧ : ٣-١٠) ندمًا وأسفًا على ما فعل فلقيه الحراس ، ونظرًا لما بينه وبين المسيح من الشبه التام فرحوا وظنوه هو وساقوه إلى السجن[١] متكتمين خبر

---

(١) حاشية : فإن قيل: إن الذي يفهم من هذه الأناجيل أن الصلب كان عقب صدور أمر بيلاطس مباشرة فلم يكن ثم وقت لهروبه من السجن ولا للقبض على غيره كما تقول .

قلت : وهل يوثق بما في هذه الأناجيل من التفاصيل المتضاربة المتناقضة في كل جزئية من جزئيات حياة المسيح كما بينه بالتفصيل التام كثير من علماء الإفرنج أنفسهم كصاحب كتاب دين الخوارق Superatuarl Religion وغيره ؟

ألا ترى أن هذه الأناجيل اختلفت حتى في نفس يوم الصلب وساعته وفي يوم صعود المسيح إلى السماء ومكانه ؟

فقد نصت الثلاثة الأول منها على أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه كعادة اليهود أي في يوم ١٤ نيسان (راجع متى ٢٦ : ١٧ و ١٩ ٣٦ ٤٧ ومر ١٤ : ١٢ ١٦ ولو ٢٢ : ٧ ٣) وأن عشاءه الأخير كان في يوم الفصح المذكور ولذلك اتخذه النصارى خصوصًا في آسيا الصغرى عيدًا من قديم الزمان ، ثم صلب في اليوم الثاني للفصح أي في ١٥ نيسان ولكن الإنجيل الأخير جعل هذا العشاء ليس في يوم الفصح بل عشاء آخر عاديًا قبل الفصح - كما في الإصحاح ١٣ منه - أي في يوم ١٣ نيسان فيكون الصلب وقع في يوم ١٤ منه أي يوم عيد الفصح نفسه والذي حمل مؤلفه على ذلك أنه أراد أن يجعل هذا العيد اليهودي رمزًا إلى المسيح كأنه هو خروف الفصح الذي يذبح في هذا اليوم بخلاف الأناجيل

الأخرى فإنها نصت على أن الخروف كان ذبح قبل يوم الصلب وأكله المسيح نفسه مع تلاميذه وسنَّ فريضة العشاء الرباني في هذا اليوم لذكراه لأنه كان يوم وداعه وأعظم أعياد الشريعة الموسوية ولكن الإنجيل الرابع يتجاهل هذه الفريضة كما يفهم من الإصحاح ١٣ المذكور ويقول بعد ذلك أن محاكمة المسيح أمام بيلاطس كانت وقت استعداد اليهود للفصح في الساعة السادسة وأن اليوم التالي لهذا الاستعداد كان يوم السبت وكان عظيما عند اليهود ، أي لأنه أول أيام الفطير ، راجع (يو ١٩ : ١٤ و ٣١)

وهو صريح في أن الصلب وقع في يوم الاستعداد الذي يذبح في مساءه خروف الفصح أي يوم ١٤ نيسان ، وعليه فلم يجعل المسيح هذا اليوم عيدًا بحسب الإنجيل الرابع ! ولذلك تركت كنيسة رومة وأكثر النصارى عيد الفصح هذا واستبدلوا به عيد القيامة وقد وقعت بينهم وبين نصارى آسيا الصغرى مناقشة عنيفة في هذا الموضوع في أوخر القرن الثاني وأصر أهل آسيا على جعل يوم عيد الفصح اليهودي(١٤ نيسان) عيدًا لهم أيضًا لأنهم يقولون أن يوحنا الذي كان مقيمًا في وسطهم وغيره من تلاميذ المسيح كانوا يحتفلون بهذا العيد كما رواه يوسيبيوس في القرن الثالث عن بوليكارب تلميذ يوحنا ، وروى بوليقراط أسقف أفسس في أواخر القرن الثاني عن يوحنا مثل هذا أيضًا ، فكيف إذًا اتخذ يوحنا هذا اليوم – يوم الفصح اليهودي– عيدًا مع أنه لم يَذكر في إنجيله – إذا صح أنه هو الكاتب له – أن المسيح جعله عيدًا كما قالت الأناجيل الثلاثة الأخرى ، بل وصلب فيه فلم يسن فيه فريضة العشاء الرباني ولا أكل الفصح في هذه السنة ؟ .

راجع : كتاب دين الخوارق (ص٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤) وقد نص يوحنا على أن المسيح كان مقبوضًا عليه قبل أن يأكلوا الفصح ١٨ : ٢٨ مع أن الأناجيل الأخرى نصت على أن القبض عليه كان بعد أكل الفصح ، فهل بعد ذلك يقال أنهم متفقون ؟ وهل هذه العبارة تقبل أيضًا التأويل ؟

أما ساعة الصلب فهي أيضًا مختلفة في الأناجيل كما قلنا ، ففي إنجيل مرقص أنه صلب في الساعة الثالثة مر (١٥ : ٢٥)وفي إنجيل يوحنا(١٩ : ١٤) أنه لم يصلب إلا بعد الساعة السادسة ، فإن قيل: إن ما ذكره يوحنا هو بحسب اصطلاح الرومان .

قلت: وكيف يجري يوحنا على هذا الاصطلاح مع أنه كتب إنجيله في آسيا الصغرى ، ولا يجري على هذه الاصطلاح مرقص الذي كتب إنجيله في رومة نفسها بناء على طلب الرومان منه ذلك كما رواه كليمندس الإسكندري ويوسيبيوس وجيروم وغيرهم ؟

على أننا إذا راجعنا إنجيل يوحنا نفسه ظهر لنا نقض هذه الدعوى . فإنه قال يو(١٨ : ٢٨) أنهم جاءوا بيسوع من عند قيانا إلى بيلاطس في الصباح فخرج إليهم بيلاطس لمحاكمته ثم أخذ يسوع إلى إدارة الولاية عدد(٣٣) وناقشه مدة ثم خرج إلى اليهود ٣٨ ثم أخذ يسوع وجلده (١٩ : ١) واستهزأت به العسكر ثم أخرجه إليهم (١٩ : ٤) وناقش اليهود في أمره ثم دخل إلى دار الولاية(١٩ : ٩) وتكلم مع المسيح ثم أخرجه وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جبانا (١٩ : ١٣) فكانت الساعة السادسة يو (١٩ : ١٤) فإذا كان المراد بهذه الساعة الساعة الرومانية أي في الصباح – كما يقولون – فكم كانت الساعة إذًا حينما أتوا بالمسيح إلى بيلاطس وقت الصبح كما قال يوحنا نفسه يو (١٨ : ٢٨) ؟

أفلم تستغرق كل هذه المحاكمة والدخول والخروج بالمسيح والتكلم معه ومع اليهود زمنًا ما؟

وهل عُملت كلها في لحظة واحدة في الصباح نحو الساعة السادسة؟ وكم كانت الساعة إذا حينما أيقظوا بيلاطس في الصبح من نومه لمحاكمته ، ومتى أرسل إلى هيردوس؟ كما يقول لوقا (٢٣ : ٧-١١) .

فالحق أن المراد بالساعة هنا الاصطلاح العبراني الذي جرى عليه مرقس وغيره لا الاصطلاح الروماني كما يزعمون ولذلك حرفوا هذه العبارة في بعض نسخهم وكتبوها الثالثة بدل السادسة يو (١٩ : ١٤) لرفع هذه الإشكال.

أما اختلافهم في يوم صعود المسيح إلى السماء ومكانه فبيانه أن المسيح بحسب إنجيل متى وفي إنجيل لوقا أنه صعد في يوم قيامته من مدينته أورشليم نفسها (لو ٢٤ : ١، ١٣ ،٢١ ،٢٩ ،٣٣ ،٣٦ ،٤٩ ،٥٠ -٥٣) وفي إنجيل يوحنا (٢٠ : ٢٦) أنه ظهر لهم بعد ثمانية أيام من قيامته أي أن الصعود لم يكن في يوم قيامته كما في إنجيل لوقا! ومن العجيب أنهم يقولون أن لوقا هو مؤلف سفر الأعمال أيضًا وتراه في هذا السفر يقول : إنه صعد من أورشليم بعد أربعين يوما (أع ١ : ٣-٩) وهو خلاف ما في إنجيله!

ويخالف أيضًا إنجيل متى ومرقس (مر ١٦ – ٧) اللذين جعلا الصعود من الخليل لا من أورشليم!

فانظر إلى مقدار اختلافهم وتضاربهم حتى في هذه المسألة الهامة، فهل بعد ذلك نُلام لأنَّا لم نُعول على كل عبارة من عبارات أناجيلهم في هذه المقالة ؟ .

هروبه خـوفًا من العقـاب ولمَّا وجد يهوذا أن المقاومة لا تجدي نفعًا ولِما طرأ عليه من التهيج العصبي والاضطراب النفساني الشديد الذي يصيب عادة المنتحرين قبل الشـروع في الانتحار ، ولاعتقاده أنه بقتل نفسه يكفر عما ارتكب من الإثم العظيم ولعلمه أن قتله بيد غيره أهون عليه من قتـل نفسه بيده ، لهذه الأسباب كلها استسلم للموت استسلامًا ولم يفُه ببنت شفة رغبةً منه في تكفير ذنبه وإراحـة ضـميره بتحمله العذاب الذي كان سلم سيده لأجله[1] ولمـا جـاءت ساعة الصلب أخرجوه وساروا به وهـو صـامت سـاكت راضٍ بقضاء الله وقدره ونظرًا لما أصابه من التعب الشديد والسهر في ليلة تسليمه للمسيح وحزنه واضطرابه لم يقـو

---

(١) **حاشية** : يقول النصارى: إن يهوذا هذا مطرود من رحمة الله مع أنه ندم ندمًا شديدًا وتاب توبة نصوحًا ، ولم يكفه ذلك حتى انتحر كما يقولون (متى ٢٧ : ٣-١٠) وكان من ضمن الاثني عشر رجلاً الذين بشرهم عيسى بالجنة (متى ١٩ : ٢٨) فلم لم يغفر ذنبه كما غفر ذنب التلاميذ الذين فروا وتركوا المسيح ؟!

وكما غفر ذنب بطرس الذي أنكر سيده وتبرأ منه وأقسم أنه لا يعرفه ، مع أن توبته كانت قاصرة على البكاء ؟! فلم لا يكون بطرس من الناس الذين تبرأ منهم المسيح بقوله متى (٧ : ٢٢) (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟

فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يا أفاعي الإثم) وخصوصًا لأن المسيح قد سماه شيطانًا (مت ١٦ : ٢٣).

على حمله صليبه أو أنه رفض ذلك فحملوه لشخص آخر يسمى سمعان القيرواني وذهبوا إلى مكان يسمى الجمجمة خارج أورشليم وهناك صلبوه مع مجرمين آخرين فلم يكن هو وحده موضع تأمل الناس وإمعانهم ولم يكن أحد من تلاميذ المسيح حاضرًا وقت الصلب إلا بعض نساء كن واقفات من بعيد ينظرن الصلب مت ٢٧ : ٥٥ ولا يخفى أن قلب النساء لا يمكّنهن من الإمعان والتحديق إلى المصلوب في مثل هذا الموقف وكذلك بُعد موقفهن عنه ، فلذا اعتقدن أنه هو المسيح ، وأما دعوى الإنجيل الرابع ١٩ : ٢٦ أن مريم أم عيسى ويوحنا كانا واقفين عند الصليب فالظاهر أنها مخترعة كالدعوى السابقة لمدح يوحنا أيضًا إذ يبعد كل البعد كما قال رينان أن تذكر الأناجيل الثلاثة الأول أسماء نساء أخريات وتترك ذكر مريم أمه وتلميذه المحبوب يوحنا ، كما يسمي نفسه بذلك في أغلب المواضع ، إذا صح أنه هو مؤلف الإنجيل الرابع .

انظر إصحاح ١٣ : ٣ و٢١ : ٢٠ وغير ذلك كثير .

هذا وقلة معرفة الواقفين للمسيح لأنه كان من مدينة غير مدينتهم (راجع يوحنا ص٧) وشدة شبه يهوذا به وعدم

طروء أي شيء في ذلك الوقت يشككهم فيه – كل ذلك جعلهم يوقنون أن المصلوب هو المسيح ، حتى إذا شاهد القريبون منه تفاوتًا قليلاً في خلقته حملوه على تغير السحنة الذي يحدث في مثل هذه الحالة ومن مثل هذا العذاب .

وكم في علم الطب الشرعي من حوادث ثابتة اشتبه فيها بعض الناس بغيرهم حتى كان منهم من عاشر امرأة غيره الغائب بدعوى أنه هو وجازت الحيلة على الزوجة والأهل والأقارب والمعارف وغيرهم ثم عرفت الحقيقة بعد ذلك ، وأمثال هذه الحوادث مدونة في كتب هذا العلم في باب تحقيق الشخصية : (Identification) فليراجعها من شاء .

ومنهم من شابه غيره حتى في آثار الجروح والعلامات الأخرى واللهجة في الكلام (راجع الفصل الأول من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الإنكليزيين) .

فلا عجب إذن إذا خفيت حقيقة المصلوب عن رؤساء الكهنة والعسكر وغيرهم وخصوصًا لأنهم ما كانوا يعرفونه حق المعرفة ولذلك أخذوا يهوذا ليدلهم عليه كما سبق فاشتبه عليهم الأمر كما بيَّنَّا وكان المصلوب هو يهوذا نفسه الذي

دلهم عليه فوقع كما كان دبره لسيده (انظر مز ٦ : ٨-١٠ و٧ : ٥ ومز٣٧ وأمثال ١١ : ٨ و٢١ : ١٨) .

ولما كان المساء جاء رجل يسمى يوسف فأخذ بجسد المصلوب ووضعه في قبر جديد وقريب ودحرج عليه حجرًا وكان هذا الرجل يؤمن بالمسيح ولكن سرًا (يو ١٩ : ٣٨) ومن ذلك يعلم أنه ما كان يعرف المسيح معرفة جيدة تمكنه من اكتشاف الحقيقة وخصوصًا بعد الموت ، فإن هيئة الميت تختلف قليلاً عما كانت وقت الحياة لا سيما بعد عذاب الصلب ، وروى الإنجيل الرابع وحده أن رجلاً آخر يدعى نيقوديموس ساعد يوسف في الدفن أيضًا (١٩ : ٣٩) وكان هذا الرجل عرف يسوع من قبل وقابله مرة واحدة في الليل (يو ٣ : ١-١٣) فمعرفته به قليلة جدًا وكانت ليلاً منذ ثلاث سنين تقريبًا أي في أوائل نبوته ، وفي كتب الطب الشرعي والمجلات الطبية عدة حوادث خدع فيها الإخوان والأقارب بجثث موتى آخرين (راجع كتاب الطب الشرعي المذكور صفحة ٣٢ منه) فما بالك إذا لم يكن الشخصان الدافنان للمصلوب يعرفانه حق المعرفة كما بينا .

لذلك اعتقد جمهور الناس وقتئذ أن المسيح صلب ومات

ودفن فحزن تلاميذه وأتباعه حزنًا شديدًا وفرحت اليهود وشمتوا بهم ولو أمكن التلاميذ إحياءه من الموت لفعلوا ففكر منهم واحد أو اثنان في إزالة هذا الغم الذي حاق بهم وما لحقهم من اليهود من الشماتة والاحتقار والذل فوجد أن أحسن طريقة لإزالة كل ذلك ولإغاظة اليهود أن يسرق جثة المصلوب من القبر ويخفيها في مكان آخر ليقال إنه قام من الأموات ولم تفلح اليهود في إعدامه إلا زمنًا قليلاً وهكذا فعل وأخفى الجثة .

فلما مضى السبت الذي لا يحل فيه العمل لليهود جاءت مريم المجدلية إلى القبر فجر يوم الأحد فلم تجد الجثة فدهشت وتعجبت وأسرعت إلى بطرس (ويقول الإنجيل الرابع كما هي عادته : إلى يوحنا ، أيضًا) وأخبرتهما أن الجسد فُقد من القبر فذهبا معها ووجدا كلامها صحيحًا فقالا : لا بد أنه قام من الموت ، وهذا القول هو أقرب تفسير يقال من تلاميذ المسيح المحبين له المؤمنين به وربما كانا هما المُخفين للجثة أو أحدهما (بطرس) ولذلك نجده في سفر الأعمال وفي الرسائل يتكلم أكثر من يوحنا عن قيامة المسيح بل أكثر من جميع التلاميذ الآخرين .

أما مريم المجدلية فمكثت تبكي لعدم وجود الجثة وعدم معرفتها الحقيقة وكانت عصبية هستيرية ، وبتعبيرهم: كان بها سبعة شياطين (مرقص ١٦- ٩) فخيل لها أنها رأت المسيح ففرحت وأسرعت وأخبرت التلاميذ (يو ٢٠ : ١٨) أنها رأته وأما النساء الأخريات اللاتي ذهبن إلى القبر فلم يرينه كما يفهم من أنجيل مرقص و لوقا ، وغاية الأمر أنهن رأين القبر فارغًا وبعض الكفن الأبيض باقيًا فخيل لبعضهن - وكلهن عصبيات - أن ملكًا كان واقفًا في القبر وأمثال هذه التخيلات الخادعة كثيرة الحصول للناس وخصوصًا للنساء عند القبور وفي وقت الظلام (يو٢٠: ١) وما حادثة قيام المتبولي من قبره عند عامة أهل القاهرة ببعيدة .

ويجوز أنهن رأين رجلين من أتباع المسيح ممن لا يعرفنهم وكانا هما السارقين للجثة ففزعن منهما وغشاهن حتى ظنن أنهما ملكان بثياب بيض (انظر لو٢٤: ٤) فكثرت أحاديث هؤلاء النسوة كل منهن عمَّا رأته ومنها نشأت قصص الأناجيل في قيامة المسيح كما نشأت الحكايات الكثيرة

المتنوعة عن قيامة المتبولي في هذه الأيام في مصر[١] ولذلك اختلفت قصة القيامة في الأناجيل اختلافاً عجيبًا يدل

(١) : حاشية : جاء في جريدة المقطم الصادرة في يوم الخميس ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٢ - ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣١ ما يأتي بالحرف الواحد :

(ورد على محافظة العاصمة اليوم إشارة تليفونية بحدوث تجمهر كبير وهياج عظيم أمام الكنيسة الجديدة التي ينشئها النزلاء اليونانيون في هذه العاصمة وأن أكثر المجتمعين يرمون بالحجارة العساكر الاحتياطية الذين أرسلهم قسم بولاق لحفظ النظام وأن بعضهم أصيب بجراح .

فذهب في الحال سعادة هارفي باشا ومعه قسم من بلوك الخفر وقسم كبير من بلوك السواري وجناب البكباشي آرثر المفتش ببوليس العاصمة وحضرة عبد الرحمن أفندي أحمد المفتشين بالحكمدارية إلى مكان الحادثة ولما رأى كثرة الجموع المتألبة في ذلك المكان أمر بإحضار وابور المطافي ثم أطلقت المياة منه عليهم فتشتتوا ووقفوا جماعات جماعات رجالاً ونساء في أماكن بعيدة وجعلوا يصيحون (يا متبولي يا متبولي) ثم حضر إلى مكان الحادثة سعادة إبراهيم باشا نجيب محافظ العاصمة وعزتلو على بك وكيلها وشهد الإجراءات التي اتخذها البوليس لتشتيت المجتمعين.

وكان السبب في هذا التجمهر والهياج أن بعض الموسوسين من سكان جهة المتبولي أشاع أمس الساعة الثامنة مساء أنه رأى الشيخ المتبولي المدفون في ضريحه المعروف أمام محطة مصر قد قام من ضريحه ووقف على قبته ثم طار في الفضاء ونزل على الكنيسة اليونانية التي تقدم ذكرها فتناقل الناس هذه الإشاعة واجتمع خلق كثير في نحو الساعة العاشرة مساء أمام الكنيسة وجعلوا يصيحون (سرك يا متبولي) فحضر حضرة مأمور القسم وبعض العساكر وفرقوهم ثم حدث في الساعة الثامنة من صباح اليوم أن مجذوبًا من سكان قسم بولاق وهو رجل في السبعين من عمره يدعى فارس إسماعيل وأصله من أسيوط وقد حضر إلى مصر منذ خمسين سنة - خرج من منزله لابسًا عمامة وملابس خضراء وأخذ يركض في الشوارع ويصيح فيها: أنا المتبولي أنا المتبولي، فاجتمع خلفه خلق كثير وساروا في موكب من بولاق إلى شارع الدواوين وكانوا جميعًا

على أن كل كاتب أخذ مـــا كتب عما حوله من الإشـــاعات والروايات المختلفة التي لم تكن وقتئذ مرتبةً ولا منظمةً .

ويظهر من هذه الأناجيل أن التلاميذ بعد ذلـــك صـــاروا محاطين بالوساوس والأوهام من كل جانب حتى إنهم كانوا كلما لاقاهم شخص في الطريق واختلى بهم أو أكل معهـــم ظنوه المسيح ولو لم يكن يشبهه في شيء ظنًا منهم أن هيئته تغيرت (مر١٦ : ١٢ ولوقا ٢٤ : ١٦ ويـــو٢١ : ٤-٧) فكانت حالهم أشبه بحال العامة من سكان القاهرة الذين التفوا منذ زمن قريب حول رجل سائر في الطريق في صـــبيحة

يصيحون: يا متبولي ، ويلثمون يده وملابسه وما زالوا سائرين كذلك إلى المسجد الزينبي حيث دخل الرجل فتبعه الناس وازدحم الميدان بالمتجمهرين

فقام حضرة الصاغ على شكري أفندي مأمور القسم وقبض على الرجل وأحضـــره إلـــى الحكمدارية ، أما الجماهير التي كانت تسير معه فقصدت الكنيسة اليونانية وأفضى ذلـــك إلى تلك المظاهرة التي فرقها رجال البوليس).

ذكرنا هذه الحادثة المضحكة ليعلم القارئ مبلغ تأثير الوهم والإشاعات الكاذبة في عقول العامة والجهلة من الناس وخصوصًا النساء ، بل قد يتسلط الوهم على بعض العقلاء حتى يروا ما لا حقيقة له ، فاقرأ بعد ذلك قصة قيامة المسيح من الموت ومـــا حـــدث للنســـاء اللاتي ذهبن إلى قبره .

هذا إذا صح أن هذه القصة ليست ملفقة من أولها إلى آخرها وأنها في الأصل كانت كما رويت في هذه الأناجيل الحالية ، على أن التلفيق ثابت عليهم فيها راجع (ص٧٦) مـــن كتاب (دين الله).

إشاعة انتقال المتبولي من قبره يصيحون : سرك يا متبولي، كما نقلناه هنا عن بعض جرائد العاصمة التي ذكرت تلك الحادثة في ذلك الحين لاعتقاد الناس أنه هو المتبولي الذي قام من قبره وكانوا يعدون بالمئات إن لم يبلغوا الألوف ولا يبعد أن بعض أولئك الناس الذين لاقاهم التلاميذ كان بلغهم الإشاعات عن قيامة المسيح فكانوا يضحكون من التلاميذ ويسخرون بهم ويأتون من الأعمال والحركات ما يوهم التلاميذ أن ظنهم فيهم هو صحيح كما كان ذلك الرجل السابق ذكره يقول للناس لما رآهم التفوا حوله : أنا المتبولي أنا المتبولي .

وروى الدكتور كاربنتر[1]:

أن السير والترسكوت (Walter Scott Sir) رأى في غرفته وهو يقرأ صديقه اللورد بيرون (Byron Lord) بعد وفاته واقفًا أمام عينيه فلما ذهب إليه لم يجد شيئًا سوى بعض ملابس وهي التي أحدثت هذا التخيل الكاذب (IIIusion)وفي حريق قصر البلور (Crystal Palace) في سنة ١٨٦٦ خيل لكثير من الناس أن قردًا يريد الفرار من

(١) في كتابه (أصول الفسيولوجيا العقلية) ص ٢٠٧ .

النار بتسلقه على قطع حديدية كانت في سقف هناك والناس وقوف يشاهدون هذا المنظر متألمين ، ثم اتضح أنه لم يكن ثم قرد مطلقًا وإنما هو منظر كاذب كما حكاه الدكتور تيوك (Tuke).

وذكر الدكتور هبرت (Hibbert) في مقال أن جماعة كانوا في مركب فشاهدوا أمامهم طباخًا لهم يمشي وكان مات منذ بضعة أيام فلما وصلوا إليه وجدوا قطعةً من خشب طافية على سطح الماء .

وهناك أمثلة أخرى عديدة كهذه يعرفها المطلعون على علوم الفسيولوجيا والسيكولوجيا والأمراض العقلية وكان المخدوعون فيها عدة أشخاص .

ويدخل في هذا الباب (باب الخيالات الكاذبة والأوهام) دعوى القبط في مصر أنهم في ثاني يوم لعيد النيروز (أي ٢ توت من السنة القبطية) إذا نظروا إلى جهة الشرق بعد طلوع الشمس بقليل رأوا رأس يوحنا المعمدان كأنه في طبق والدم يسيل من جوانبه وقد أكد لي بعضهم ، وهو من الصادقين عندي ، أنه رأى ذلك المنظر بعيني رأسه في الأفق وكثير من نسائهم يقلن أنهن رأينه أيضًا .

ومن ذلك أيضًا ما كان يراه القدماء وخصوصًا النصارى في أوروبا في القرون الوسطى وقت ظهور ذوات الأذناب في السماء كالذي ظهر عندهم سنة ١٥٥٦ ميلادية فإنها رأوا فيه وفي غيره سيوفًا من نار وصلبان وفرسان على الخيل وغزلان وجماجم قتلى إلخ إلخ ، وكانوا يتشائمون من هذه المناظر وينزعجون منها ، وقد رسم بعضهم صور ما كانوا يرونه من ذلك ونشر في كتبهم ، **راجع كتاب (الفلك للعاشقين) تأليف كاميل فلامريون ص ١٨٧ و١٨٩ .**

ورأى اليهود قبل خراب أورشليم نحو ذلك أيضًا في السماء كمركبات وجيوش بأسلحتها تركض بين الغيوم حتى تشائموا منها كثيرًا ، وفي عيد الخمسين لما كان الكهنة داخلين ليلاً في دار الهيكل الداخلي سمعوا صوتًا كأنه صوت جمع عظيم يقول : دعنا نذهب من هنا .

إلى غير ذلك من الأوهام والخيالات التي وصفها مؤرخهم الشهير يوسيفوس في بعض كتبه وذكرها أيضًا تاسيتوس مؤرخ الرومان وهي أوهام لم تخل أمة من مثلها في كل زمان ومكان ، وقد تظهر أيضًا مناظر عجيبة كهذه

في الأفق من انكسار أشعة الشمس في طبقات الهواء (Mirage) .

راجع كتاب (الرسل) لرينان ص ٤٢ ، في رؤية المسيح في الجليل بعد صلبه .

أما دعوى الإنجيل الأول (متى) أن حراسًا ضبطوا القبر وختموا عليه (٢٧ : ٦٦) فهي كما قال العلامة (أرنست رينان) اختراع يراد به الرد على اليهود الذين ذهبوا إلى القول بسرقة الجثة حينما أكثر النصارى من القول بالقيامة بعد المسيح بمدة (انظر مت ٢٨ : ١٥) ولذلك لم ترد قصة حراسة القبر في الأناجيل الأخرى ، ولو كانت حقيقية لما تركوها فهي الرد الوحيد الذي أمكن لكاتب الإنجيل الأول أن يبتكره لدفع ما ذهب إليه اليهود في ذلك الزمان .

وزد على ذلك أن هذا الإصحاح (٢٧) من إنجيل متى قد اشتمل على غرائب أخرى كانفتاح القبور وقيام الراقدين من الموت ودخولهم المدينة ، إلخ إلخ (٢٧ : ٥١ - ٥٤) وكل هذه أشياء يراد بها التهويل والمبالغة ، ولا يخفى على عاقل مكانها من الصحة ولذلك رفضها المحققون من علماء أوروبا اليوم .

ولو وقعت لكانت أغرب ما رأى الناس ولتوفرت الدواعي على نقلها فنقلها كتبة الأناجيل كلهم ممن اعتمدت الكنيسة أناجيلهم ومن غيرهم ولاشتهرت فنقلها المؤرخون كيوسيفوس وغيره .

ولا ندري متى قال المسيح لليهود أنه سيقوم في اليوم الثالث ؟ ولماذا يظهر نفسه لهم ؟ وما فائدة هذا الجسد المادي الذي كان يحتاج للأكل والشرب بعد القيامة (لو ٢٤ : ٤١ و٤٢) حتى يحيا بعد الموت ويبقى إله العالمين مقيدًا به إلى الأبد ؟ نعم ورد في إنجيل يوحنا أنه قال لليهود (٢ : ١٩) : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه .

ولكن نصت هذه الأناجيل على أن اليهود لم يفهموا هذا القول بل ولا تلاميذ المسيح أنفسهم (انظر لوقا : ١٨ : ٣٤ ، ويو ٢ : ٢١ و٢٢ و٢٠ : ٩ ومر ٩ : ٣٢) وقد كذب هذه العبارة متى نفسه فقال : إنها شهادة زور (٢٦ : ٦٠ و٦١) فكيف إذًا أرسل اليهود كما قال متى حراسًا ليضبطوا القبر خوفًا من ضياع الجثة؟ وأي شيء نبههم إلى ذلك العمل مع أن أقوال المسيح لم يفهمها نفس تلاميذه إذا صح أنه قال هذه العبارة أو غيرها ؟ أما قوله لليهود (متى

١٢ : ٤٠ : لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) قد **قال** فيه بعض محققيهم ، مثل بالس و شاتر: إنه **زيادة** من كاتب الإنجيل للتفسير .

وهي زيادة خطأ فلم يمكث إلا يومًا وليلتين ولذلك لم ترو هذه الزيادة في إنجيل من الأناجيل الأخرى ، وقول متى(١٢ : ٣٩): ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . يريد به أنه كما آمن أهل نينوى بيونان (يونس) من غير أن يروا منه آية كذلك كان الواجب أن تؤمنوا بي بدون اقتراح آيات وبدون عناد ، ولذلك قال بعد ذلك ٤١ : رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان ، وهوذا أعظم من يونان هنا .

وفي القرآن الشريف نحو ذلك أيضًا (**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**)(يونس : ٩٨) .

وعلى كل حال ، إذا كان نفس تلاميذه لم يفهموا ذلك إلا بعد قيامته (يو ٢٠ : ٩) مع أنه كان أخبرهم به أيضًا على انفراد (مت ٢٠: ١٧) فكيف فهمه اليهود قبلهم ؟

وكيف لم يصدق التلاميذ قيامته حينما أُخبروا بها (مر ١٦ : ١١) ؟ إذا صح أن المسيح أنبأهم بها من قبل ؟

وكيف يعقل أن رؤساء الكهنة والفريسيين يذهبون إلى بيلاطس في يوم السبت كما قال متى (٢٧ : ٦٢) وينجسون أنفسهم بالدخول إليه وبالعمل في السبت كضبط القبر بالحراس وختم الحجر (مت ٢٧ : ٦٦) مع أنهم هم الذين لم يقبلوا الدخول إلى بيلاطس يوم محاكمة المسيح خوفًا من أن ينجسوا أنفسهم فخرج هو إليهم كما قال يوحنا (١٨ : ٢٨) وهم الذين سألوه إكرامًا للسبت أن لا تبقى المصلوبون على الصليب فيه (يو ١٩ : ٣١) فما هذا التناقض وما هذه الحال ؟

ولنرجع إلى ما كنا فيه : وقد اعتقد جمهور الناس في ذلك الوقت أن المصلوب هو المسيح وأنه قام من الموت ولما لم يجدوا يهوذا الإسخريوطي قالوا : إنه انتحر بشنق نفسه .

وربما أنهم بعد بعض الأيام وجدوا خارج أورشليم في بعض الجبال جثة مشقوقة البطن من التعفن الرمي فظنوها جثته (ع ١ : ١٨) ويجوز أنها كانت جثة المسيح نفسه على القول بأنه مات بعد هروبه من السجن كباقي الناس ، ولم يرفع إلى الله تعالى إلا رفعًا روحانيًّا معنويًّا كقوله تعالى : (**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ**)(الأعراف : ١٧٦) .

وكقوله : (**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**)(فاطر : ١٠) وقوله : (**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**)(البقرة : ٢٥٣) .

وفي معنى ذلك أيضًا قوله تعالى : (**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**)(الصافات : ٩٩) وقوله : (**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**)(القمر : ٥٥) .

وقوله : (**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ**)(آل عمران : ١٦٩) ، وغير ذلك كثير .

ولما كان بعض التلاميذ يستبعدون الموت على المسيح لشدة حبهم وتعظيمهم له ، كما فعل بعض الصحابة عقب موت رسول الله ، ذهب بعضهم بالرأي والاجتهاد إلى أن

المصلوب لا بد أن يكون غير المسيح ، وقالوا إنه إما يهوذا أو واحد آخر وخصوصًا لأنهم لم يعلموا أين ذهب يهوذا .

ومن ذلك نشأت مذاهب مختلفة بين النصارى الأولين في مسألة الصلب والقيامة ، كانت أساسًا لفرق كثيرة ظهرت بعدهم ذكرناها مرارًا سابقًا في **المنار** وغيره مما كتبنا .

لذلك قال تعالى : **(وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)** (النساء : ١٥٧) .

فساد مذهب القائلين بالصلب لأنه هو الظاهر مما شوهد إذ ذاك وساعد على نشره القول بالقيامة ودعمه بولس ومن وافقه بنظرياتهم في الخلاص[١] والفداء وببعض نصوص

---

(١) **حاشية** : إذا صحت عقيدة النصارى في الصلب والخلاص المبشر به فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانًا لله بدلاً من أن يوقع اليهود في هذا الإثم العظيم ؟

فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب إليه المفضلين على العالمين الذين - خصهم كما يقولون - بالوحي والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان ولم يعتنِ بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين إلى دينه الحق ؟!

أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم ؟ فلماذا إذًا أوقعهم في هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح بدون إرادته ، مع أنه كان يمكنه أن يقدم ابنه هذا البريء بدون إيقاعهم في هذا الإثم الكبير ؟!

ألا يدل ذلك – لو صح – على أن الشيطان قد نجح في إهلاك أحباب إلههم وشعبه المختار وعجز هذا الإله عن تخليصهم من مخالبه بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة ، ثم صلب نفسه ، ومع ذلك لم تنجح حيلته !!

فوا أسفا على هذا الإله الضعيف الذي غلبه الشيطان وجعله يندم على خلقه الإنسان ويحزن (تك ٦ : ٦ و٧) وأوقعه في الحيرة والارتباك من قبل ومن بعد الطوفان تك (٨ : ٢١ و٢٢ و١١ : ٦ و٧) إلخ إلخ .

وما أغناه عن هذا كله لولا حُبه في سفك الدماء كثيرًا (قض ١١ : ٢٩ –٤٠) حتى سفك دم نفسه وقاده الشيطان إلى هذا الانتحار (تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا) وجاءه من قبل ذلك مجربًا وممتحنًا ليسجد له ليكفر (مت ٤١ : ١٠) ولم يكتف بذلك – على حسب زعمهم – بل أصاب ويصيب عباده بالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم والجنون والعتاهة وغير ذلك من الأمراض التي تنسبها إليهم كتبهم إلى تأثير الشيطان ولا يقدرون للآن على تخليص الناس من شره وسلطانه ، فما أعظمه عندهم من لعين قادر حتى قهر العالمين وإلههم!! فمن منهما سحق الآخر على ما يقول سفر التكوين (٣ : ١٥) (سبحان الله رب العزة عما يصفون) وإذا صح أن المسيح ادعى الألوهية بين اليهود (يو ٨ : ٥٨ و١٠ : ٣٠ و٣٣).

فأي ذنب عليهم في قتله وهم لم يفعلوا شيئا سوى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به على لسان موسى؟!

قال في سفر التثنية (١٣ : ١) إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ولوحدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونعبدها ، إلى قوله : وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يُقتل) فإذا كان الله يعلم أن المسيح سيدَّعى الألوهية ويدعو الناس لعبادته ، فلماذا وضع هذا الحكم في الشريعة الموسوية ؟

ولمَّا أنفذه اليهود إطاعة له كرههم وغضب عليهم!!

فلمَ هذا التضليل ولمَ هذا الظلم ؟

فمقتضى عقيدة النصارى أن الله تعالى عاجز جاهل ، ولذلك ما كان يعلم المستقبل ، وكان كما يقول سفر التكوين: يضطر للنزول ليشاهد بنفسه أعمال البشر (تك ١١ : ٥ و٦ و١٨ : ٢١) التي أغضبته وجعلته يندم ويحزن.

من العهد القديم لووها وأولوها بحسب أوهامهم وأفكارهم وقد بينا بطلانها في كتاب (دين الله) وقد رفض بولس هذا وجميع رسائله أقدم فرقهم القديمة كالبيونيين (Ebionites) وكانوا أقرب الناس إلى تعاليم المسيح الحقيقية وغاية في الزهد والتقوى وكان عندهم إنجيل متى العبراني الأصلي المفقود الآن .

ومن الجائز أن يوسف ونيقوديموس (إذا صح أنه حضر معه) كانا يخافان على الجثة من اليهود أن يهينوها أو يمثلوا بها أو يتركوها للحيوانات المفترسة كالمعتاد أو نحو ذلك زيادة في النكاية بالمسيح وأتباعه وكما كان يعمل في المصلوبين بحسب عادة الرومان ، فتظاهرا بأنهما قد أتما دفن الجثة ومضيا .

فلما تحققا أنه لم يبق عند القبر أحد مطلقًا خوفًا من أن يطلع على ما يفعلان رجعا ونقلاها إلى موضع آخر لا يعلمه أحد ، وتعاهدا على أن لا يبوح أحد بسرهما ، ثم

فكأنه ما كان يعلم ماذا يصير إليه أمر الإنسان ، ولذلك ترى أنه بعد أن دبر طريقه الخلاص ومات صلبًا لم يُخلِّص من البشر إلا قليل بالنسبة لمجموعهم ، وأهلَكَ بسبب ذلك أفضل أمة عنده (تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا) .

ذهب يوسف إلى بلدته الرامة على بعد ٦ أميال إلى الشمال من أورشليم ورجع نيقوديموس إلى بيته وكلاهما كان عضوًا في السنهدريم مجمع اليهود وكانا يؤمنان بالمسيح ولكن سرًّا لخوفهما من اليهود (يو ١٩ : ٣٨ و٧ : ٥٠) وربما أنهما لم يجاهرا اليهود بشيء حتى ولا بأنهما هما اللذان دفنا الجثة وخصوصًا نيقوديموس ، ولذلك لم تذكره الأناجيل الثلاثة الأول ، وربما قال يوسف لليهود تعميةً لهم : إني بعد أن استلمت الجثة وكفنتها سلمتها لغيري ممن حضر ليدفنها وتركته ولا أعلم باليقين أين وضعها ولا أعرف اسمه .

وخصوصًا لأن كل الجموع الذين كانوا حاضرين الصلب كانوا قد رجعوا إلى منازلهم كما قال لوقا (٢٣ : ٤٨) ولم يبق وقت الدفن أحد يشاهدهما إلا مريم المجدلية و مريم أم يوسي (مر ١٥ : ٤٧ ومت ٢٧ : ٦١) ولا ندري إذ صح ذلك كيف أرادتا العودة إلى القبر لتحنيط الجثة مع أنهما شاهدتا يوسف ونيقوديموس يحنطانها كما تقول الأناجيل ؟ (يو ١٩ : ٣٩ و٤٠) وقال كيم أحد علماء الإفرنج في كتابه (يسوع الناصري) مجلد ٣ ص ٥٥٢ : إنه لا يحرم

على أحد من اليهود في يوم السبت أن يقوم بالواجب نحو جثة الميت كالتحنيط والتكفين ونحوهما .

فلا يفهم أحد ما الذي أخر هؤلاء النسوة عن الذهاب إلى القبر يوم السبت والقيام بما يردن عمله للمسيح فيها .

انظر كتاب دين الخوارق ص ٨٢٦ .

وهل لم يكفهن الحنوط العظيم الذي أحضره نيقوديموس (يو ١٩ : ٣٩) حتى اشترين غيره (م١٦ : ١) ولكن لنتغاض .

وبعد السبت في فجر يوم الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى إلى القبر الذي كانتا شاهدتا الجثة وضعت فيه أولاً (متى ٢٨ : ١) فلم تجدها فكان ما كان من إشاعة قيامة المصلوب من الموت ، هذا إذا لم نقل إنهما ضلتا عن القبر بسبب شدة الحزن والبكاء والتعب والظلام ، وكثيرًا ما تضل نساء مصر مثلاً ورجالها عن معرفة قبورهم حتى بعد التردد عليها مرةً أو مرتين كما هو مشاهد معروف ولذلك لم يعرف علماؤهم موضع هذا القبر باليقين إلى اليوم .

ولما انتشرت إشاعة القيامة كانت قاصرةً على التلاميذ وأتباع المسيح فقط في أورشليم (لو ٢٤ : ٣٣) ولم يقدروا

على التجاهر بها أمام اليهود في أول الأمر ولذلك كانوا يجتمعون والأبواب مغلقة لئلا يسمع كلامهم اليهود خوفًا منهم كما قال يوحنا (٢٠ : ١٩) وكانوا على هذه الحالة إلى ثمانية أيام (يو ٢٠ : ٢٦) ثم لم يجسروا على المجاهرة بالدعوة إلى دينهم إلا بعد نحو خمسين يومًا كما في سفر الأعمال (٢ : ١) وفي هذه المدة على فرض عثور أحد على الجثة لا يمكن تمييزها عن غيرها بسبب التعفن الرمي .

ودعوى إيمان ثلاثة آلاف نفس من اليهود في يوم الخمسين يكذبها عدم وجود بيت للتلاميذ يسع كل هذا العدد فإنهم كانوا نحو ١٢ رجلاً (أ ع ١ : ١٥) واليهود الذين تنصروا نحو ثلاثة آلاف (أ ع ٢ : ٤١) ولا ندري عدد الذين لم يتنصروا من اليهود الذين حضروا الاجتماع في أورشليم من كل أمة تحت قبة السماء كما قال سفر الأعمال (٢ : ٦ – ١٣) الذي قال أيضًا إن هذا الاجتماع العظيم كان في بيت (٢ : ٢) فأين هذا البيت وملك مَن مِن التلاميذ وكلهم من الجليل (أع ٢ : ٧) ؟

ومن الذي أخبر كل هذه الجماهير من جميع الأمم المتنوعة بما هو حاصل في بيت التلاميذ الخاص من نزول روح القدس عليهم وتكلمهم بألسنة مختلفة حتى هرعوا إليه صنفًا صنفًا ؟ ولماذا لم يكتب التلاميذ الأناجيل والرسائل بلغات العالم هذه التي عرفوها ليتيسر للناس قبولها بدون ترجمة ؟ وتكون معجزة باقية إلى الأبد ؟

ولماذا كان بطرس محتاجًا لمترجمه مرقس إذًا ؟

كما رواه بابياس وصدقه جميع آباء الكنيسة القدماء ، ولكن لنرجع إلى ما كنا فيه .

وذهب جماعة من علماء النقد في أوربا وكثير ما هم إلى أن القبر الذي وضع فيه المصلوب وكان منحوتًا في الصخر أصابه ما أصاب غيره من الزلزلة التي حدثت في ذلك الوقت.

وذكرها متى في إنجيله (٢٨ : ٢) **فتفتحت بعض القبور** وزالت بعض الصخور وتشققت ، راجع أيضًا : (مت ٢٧ : ٥١ و ٥٢) فضاع بسبب ذلك الجسد المدفون في شق من الشقوق ، ثم انطبق وانهال عليه شيء من التراب والحجارة حتى انسد الشق ولم يقف أحد للجثة على أثر .

وكان ذلك قبيل وصول المرأتين إلى القبر فلما وصلتا إلى هنالك ولم تجدا الجثة ورأتا آثار الزلزلة أو شعرتا بشيء منها فزعتا وظنتا أن ذلك بسبب نزول الملائكة وقيام المسيح من القبر (مت ٢٨ : ٢) وقد أخذت الرعدة والحيرة منهما كل مأخذ حتى لم تقدرا على الكلام (مر ١٦ : ٨) .

ولا يستغربن القارئ ما ذكر ففي وقت الزلازل كثيرًا ما تنفتح الأرض وتبتلع بعض أشياء ثم تنطبق عليها .

ووقوع هذه الزلزلة قبيل وصول المرأتين إلى القبر من المصادفات التي حدثت في التاريخ أعجب منها ، فقد كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظنت الصحابة أن ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لهم : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته) الحديث .

يعني أن نظام هذا الكون العظيم لا يتغير لموت أي أحد في هذه الأرض الصغيرة الحقيرة ، فيالله ما أصدقه من رسول ، ولو كان كغيره من الكذابين ، لفرح بما قاله أصحابه وثبت اعتقادهم فيه .

ومن أعجب المصادفات التاريخية أن قمبيز ملك الفرس طعن العجل أبيس في فخذه فقتله استهزاءً بالمصريين وإلههم وبينما هو سائر في طريقه سقط سيفه على فخذه أيضًا فجرحه جرحًا بليغًا ساقه في الحال إلى الموت فظن المصريون أن ذلك بسبب فعل آلهتهم به ، فما أعجب عقل الإنسان وما أغرب كثرة ميله إلى الأوهام والخرافات .

وإذا تذكرنا أن ذلك القبر كان منحوتًا في الجبل في مكان خراج أورشليم بقرب الموضع المسمى بالجمجمة ، وكان مدخل مثل هذا القبر أو الكهف من الجهة السفلى كما كانت عادة الناس في ذلك الوقت في نحت القبور على ما ذكره رينان وغيره ، فمن الجائز أن الزلزلة أزالت الحجر الذي سد به هذا القبر فدخلت بعض الحيوانات المفترسة كالسبع أو الضبع ونحوهما وأخذت الجثة وفرت بها ، وهو تعليل آخر معقول .

وقال بعض علماء الإفرنج : إن من عادة اليهود أن لا يضعوا هذا الحجر على باب القبر إلا بعد مضي ثلاثة أيام من الدفن ، فإن صح ذلك فلا داعي للقول بهذه الزلزلة هنا في هذا الوجه .

والخلاصة:

أن ضياع الجثة لا دليل فيه على هذه القيامة ، وخصوصًا لأن المسيح لم يظهر لأحد من المنكرين له مع أنه كان وعدهم بذلك حسب إنجيل متى (١٢ : ٣٩ و٤٠) وفضلاً عن ذلك فليس بين تلاميذه وأتباعه من رآه في وقت عودة الحياة إليه وقيامه من القبر؛ فإن ذلك كان أولى بإقناع الناس وإقناع تلاميذه الذين بقي بعضهم شاكًا حتى بعد ظهوره لهم (مت ٢٨ : ١٧ ولو٢٤ : ٣٨ ت٤١ ويو٢٠ : ٢٧) . مع أن اتباع هذه الطريقة كان أقرب وأسهل في الإقناع وأبعد عن مثل الشبهات التي ذكرناها .

فإن قيل إن ذلك سيكون ملجئًا للإيمان وهو ينافي الحكمة الإلهية .

قلت : وهل إحياء المسيح للموتى أمام الناس ما كان ملجئًا ولا منافيًا للحكمة الإلهية ؟!

وكذلك قيام أجساد القديسين الراقدين ودخولهم المدينة المقدسة على ما ذكره متى ؟ (٢٧ : ٥٢ و٥٣) فأي فرق بين هذه الآيات البينات والمعجزات القاطعة ، وبين قيامته هو من الموت ؟

فكيف يجب على البشر الإيمان بـها وهي قابلـة للشـك والطعن ؟ حتى من أتباعه الذين ملأوا الدنيا بكتبهم المشككة في هذا الدين وعقائده , وحتى شك فيها التلاميـذ أنفسـهم (متى ٢٨ : ١٧) من قديم الزمان .

ولنا أن نسأل هنا الأسئلة الآتية :

١ - إذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته سيسـبقهم إلى الجليل وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يـروه (مـت ٢٦ : ٣٢ و٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) فلماذا إذًا ظهر لهـم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قـام فيه ؟ (لو ٢٤ : ٣٦ و٣٧ ويو٢٠ : ١٩) .

٢ - ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك مع أنه ظهر لهم مرارًا في أورشليم (أع ١ : ٣) وما الداعي إلى ذلك ، وهو الذي أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يحـل عليهم روح القدس (لو ٢٤ : ٤٩ وأع ١ : ٤) ؟

٣ - هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهـم فـي أورشليم أم قبله ؟

فإن كان بعده فلماذا شكُّوا فيه (مت ٢٨ : ١٧) ؟ بعد أن كان أقنعهم بذلك في أورشليم (لو ٢٤ : ٣٩ - ٤٩ ويو ٢٠ : ٢٠ و٢٧) وإن كان قبله ، فمتى ذهبوا إلى الجليل إذًا مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الأقل ، وقد نصت الأناجيل على أنهم رأوه في أورَشليم في نفس يوم قيامته من القبر ، فهل يعقل أنهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم ؟ وإن كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مرارًا ، فلماذا كان ذلك ؟ وما الحكمة في هذا التضليل ؟

وإذا كانت هيئته قابلة للتغيير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يفهم من الأناجيل (راجع متى ١٧ : ١ - ٧ ومر ٩ : ٢ - ٨ ولو ٩ : ٢٨ - ٣٦) وكان له القدرة على الاختفاء عن أعين الناس ، والمرور في وسطهم بدون أن يروه والإفلات من أيديهم (يو ٨ : ٥٩ و١٠ : ٣٩ ولو ٤ : ٣٠) فكيف إذًا يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه مع أن نفس تلاميذه كانوا يشكون فيه لكثرة تغير هيئته وتبدلها (يو ٢١ : ٤) ؟

فأيّ غرابة إذا قلنا : إن اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مرة مريم المجدلية وظنته البستاني (يو ٢٠ : ١٥) ؟

٤ – إذا كان المسيح ظهر لهم في أورشليم يوم قيامته ، فلماذا لم يأمرهم بنفسه وقتئذ بالذهاب إلى الجليل بدلاً من أن يرسل إليهم هذا الأمر بواسطة النساء ؟ (متى ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) ولماذا لم يذكر متّى هذا الظهور ، ويذكر ما ينافيه مما سبق بيانه ؟

ألا يدل ذلك على أنه ما ظهر لهم في أورشليم ، وإلا لَمَا احتاج لتوسيط النساء بينه وبين تلاميذه ؟

ولِم ترك متّى ذكر ذلك ، وهو من الأهمية والبعد عن الشك كما يقول الآخرون بمكان عظيم ؟ (لو ٢٤ : ٤٥ ويو ٢٠ : ٢٥) .

بقي علينا أن نناقش قصة الصلب هذه من وجوه أخرى :

١ – أن الشريعة الموسوية في مثل حالة المسيح كانت توجب الرجم ، وليس فيها صلب لأحد وهو حي ، وإنما يعلق المقتول على خشبة (تثنية ٢١ : ٢٢) .

أما الشريعة الرومانية فكان الصلب فيها للعبيد ولقطاع

الطريق ونحوهم من أرباب الجرائم الدنيئة ، فكيف إذًا صلب المسيح ، وعلى أيِّ شريعة كان ذلك ؟ وكيف طلب اليهود صلبه وأنفذه الرومان لهم ، وهو ليس موجودًا في شرائعهم لمثله ؟

وكيف صلب معه لصان كما يسميهما متَّى ومرقس وليس في شريعة الرومان ، ولا شريعة اليهود صلب اللصوص ؟ لذلك شك بعض العلماء حتى في أصل هذه القصة ، ومنهم أيضًا من أظهر بالدلائل التاريخية المعقولة الكذب أو المبالغة في بعض قصص اضطهاد النصارى ؛ واستشهادهم الكثير في القرون الأولى كما يحكون في تواريخهم .

٢ - جاء في إنجيل لوقا أن المسيح قبيل القبض عليه قال لتلاميذه (٢٢ : ٣٦ -٥٠) : الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفًا ؛ فقالوا : يا رب هو ذا هنا سيفان .

فقال لهم : يكفي ، وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون ، وتبعه أيضًا تلاميذه ، ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ، قائلاً :

يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لـتكن لا إرادتي بل إرادتك ، وظهر له ملاك من السماء يقويه ، وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشـد لجاجـة وصـار عرقـه كقطرات دم نازلة على الأرض ٤٩ إلى قوله : فلمـا رأى الذين حوله ما يكون قالوا : يـا رب أنضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى).

وعلى هذه العبارة ترد عدة مسائل :

أولا : إن المسيح أمر تلاميذه بشراء السـيوف وحملهـا للدفاع عنه ، وأراد واحد منهم أن يقتل عبد رئيس الكهنة ، ولكن أصابت الضربة أذنه فقطعتها ولم ينهه المسيح عـن ذلك إلا بعد أن أخطأت الضربة الرجل كما يفهم من متّـى (٢٦ : ٥١ و٥٢) فكيف يتفق هذا مع قول الأناجيل عنـه أنه أمر تلاميذه بمحبة الأعداء (مت ٥ : ٤٤) وأنه قـال (مت ٥ : ٣٩) : (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا) .

فلماذا لم يعمل هو نفسه بأقواله هذه ، وأراد تلاميذه علـى حمل السيوف للدفاع عنه ؟

أم كانت هذه الأقوال السلمية في مبدأ أمره كما يفهم من إنجيل متَّى قبل أن يقوى ، فلما قوي قليلاً تركها ؟

فماذا كان يفعل لو بلغ من القوة مبلغًا يستطيع معه أن يقهر دولة الرومان ؟

وبم يفتخر المسيحيون علينا إذًا ، ونحن نرى أن المسيح ما دعا إلى السلم إلا وقت ضعفه الشديد ؟

ولم يعيبون محمدًا صلى الله عليه وسلم لأنه حارب أعداءه ، وقد كان حينئذ قويًّا شديدًا ؟

أو لا يُفهم من عبارة لوقا هذه أن المسيح هو الذي أشار عليهم بالضرب بالسيف حينئذ ، فإنه هو الذي أمرهم بشرائها وحملها معهم ؟

نعم إنه لم يصرح بذلك حينما سألوه : أنضرب بالسيف ؛ ولكن كان سكوته إيعازًا خفيًّا خوفًا من اليهود ومن الدولة الرومانية ؛ لأن الظاهر أنه كان عنده أمل في النجاة منهم ؛ ولذلك لما تم صلبه على زعمهم يئس وقال : (إلهي إلهي لم تركتني ؟) (مت ٢٧ : ٤٦) .

ثانيًا : إذا كان المسيح ابن الله الذي نزل من السماء للموت ليرفع خطيئة العالم ، فلماذا أراد الدفاع عن نفسه ، ولماذا لم يسلم نفسه لهم طائعًا مختارًا ؟

وما معنى هذه الصلاة الطويلة العريضة والإلحاح بطلب النجاة ، وما حكمة ذلك يا ترى ؟ وهو يعلم أنه لا فائدة من هذا كله ولا بد من صلبه الذي جاء لأجله .

ثالثًا : إذا كان عبيد الله يقدمون أنفسهم للشهادة في سبيله بكل شجاعة وثبات وإقدام ، فكيف يمكن أن يجبن (ابن الله) عن مساواتهم في ذلك حتى يتصبب عرقه من شدة الخوف من الموت ، وليس في الموت إلا أنه يعود ثانية إلى أبيه ، فَلِمَ كَرِهَ ذلك يا ترى ؟

ولِمَ هذا الحزن الشديد كما ذكر متى (٢٦ : ٣٧ و٣٨) ؟

رابعًا : كيف يحتاج ابن الله الممتلئ من روح القدس إلى ملاك من السماء ليقويه مع أنه في ناسوته يوجد أقنومين إلهيين (الابن ، وروح القدس يو١ : ٣٢) وهما متَّحِدان به، فهل هذا الملَك عندهم أقوى من الله ؟

خامسًا : هل من العدل عند النصارى أن ينقذ الله المذنبين – آدم وبنيه – ويصلب ابنه البريء رغم إرادته وهو يستغيث به فلا يغيثه ؟

فأين عدله ورحمته ؟

وإذا لم يكن عادلاً رحيمًا بابنه ، فهل مثل هذا الإله يرحم عبيده ويعدل فيهم ؟ ولِمَ هذا الحب الكثير من إلههم لسفك دم الأبرياء من قديم الزمان [1] ؟

(٣) يقول إنجيل يوحنا(١٩ : ٣١) : (ثم إذا كان استعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت ؛ لأن يوم ذلك السبت كان عظيمًا ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ٣٢ فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه ٣٣ وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه ؛ لأنهم رأوه قد مات ٣٤ لكن واحدًا

---

(١) راجع قصة يفتاح الممتلئ من روح الله الذي قتل ابنته الوحيدة البريئة قربانًا لله وذكر الله قصته هذه في بعض كتبه ولم يزجر أباها ولم يعاقبه على ما فعل ، كأن قتلها كان مرضيًا عنده تعالى (قضاة ١١ : ٢٩ – ٤٠) لأن أباها أصعدها بعد قتلها محرقة له ، فلعله سُرَّ من رائحتها والنيران تأكل جثتها فلذلك ذكر هذه القصة ولم يذكر ما ينفر منها ليقتدي الناس بيفتاح هذا .

راجع أيضًا مقالة القرابين والضحايا في كتابنا (دين الله) .

من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ٣٦ لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه ٣٧) .

وأيضا يقول كتاب آخر : (سينظرون إلى الذي طعنوه) .

فإذا كانت هذه القصة حقيقية ووقعت لتتميم نبوات قديمة ، فكيف لم يشر إليها الثلاثة الإنجيليون الآخرون ؟

وليس هذا فقط بل إن عبارة مرقس (١٥ : ٤٢ - ٤٦) تنافي هذه القصة ؛ لأن يوحنا (١٩ : ٣٨) يقول : إن يوسف أتى إلى بيلاطس بعد أن أمر بكسر سيقان المصلوبين وبعد أن ماتوا ؛ فأذن له بأخذ الجثة ؛ فكيف إذًا تعجب بيلاطس ، حسب رواية مرقس، من موت المسيح بسرعة حينما جاءه يوسف طالبًا الجسد ؟ ولماذا سأل قائد المائة قائلا : (هل له زمان قد مات ؟ مر ١٥ : ٤٤) إذا كان حقيقة أصدر أمره بكسر سيقان المصلوبين ورفعهم كما قال يوحنا ؟

فهل بعد هذا الكسر يبقى موضع للعجب ؟

ولا يخفى أن المسيح صلب بين اللصين (يـــو١٩ : ١٨) فكيف تخطاه العسكر ، وكسروا ساقي الأول والآخر ولـــم يكسروا ساقيه بل كسروا الثالث قبله ؟

فإن قيل : لأنهم رأوه قد مات .

قلت : إذا كانوا متحققين من الموت فلماذا طعنـــه أحـــدهم بالحربة في جنبه ؟

وإن لم يكونوا متحققين فما الذي أخرهم عن كسر ساقيه بعد صدور الأمر لهم بذلك ؟

ولماذا ترددوا في إطاعة الأمر حتى تخطوه إلى الثالـــث ، وهل من شأن العسكر التردد والتوقف والبحث في مثـــل ذلك ؟ مع أن الأمر صدر لهم صريحًا بكسر سيقان الجميع والتعجيل بموتهم ورفعهم عن الصلبان إجابة لطلب اليهـــود من بيلاطس فما الذي أخرهم عن تنفيذ الأمر في الحال ؟

ألا يدل ذلك على أن هذه القصة مصطنعة لتطبيق نبـــوات قديمة على المسيح كما هي عادة كتبة الأناجيل [١] .

---

(١) راجع : كتاب دين الخوارق في الإنكليزية صفحة : ٨٣٧ و ٨٣٨ .

وكيف يفسرون خروج الدم منه بعد الموت من الوجهة الطبية ، وما هذا الماء الذي رآه يوحنا خارجًا من جنبه كما يقول إنجيله (١٩ : ٣٤ و٣٥) .

(٤) : ذهب بعض علماء الإفرنج إلى أن المصلوب لم يمت ؛ لأن مدة الصلب كانت ست ساعات على الأكثر (راجع مرقس ١٥ : ٢٥ - ٣٧) وهي غير كافية للموت بالصلب ، فإن المصلوب يموت عادة من يوم إلى ثلاثة أيام ؛ ولذلك تعجب بيلاطس من هذه السرعة (مر ١٥ : ٤٤) وقال بسبب ذلك أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة القدماء : إن موته كان من خوارق العادات ؛ وأيضا فإنه لم تسمر إلا يديه فقط وربطت رجلاه ؛ ولذلك لم يذكر يوحنا إلا أثر المسامير في يديه ولم يذكر رجليه (يو٢٠ : ٢٠ و٢٥ و٢٧) ولم يُرِهما المسيح لتلاميذه بحسب هذا الإنجيل .

وأما عبارة لوقا (٢٤ : ٣٩ و٤٠) فإنها تحتمل أن المراد بها أنه أراهم يديه ورجليه ليجسوهما ؛ ليعلموا أنه جسم حقيقي له لحم وعظم ، كما قال ؛ ليقنعهم أنه ليس روحًا ، وإنما أراهم يديه ورجليه دون سائر جسمه ؛ لأنه يسهل

كشفهما دون باقي الأعضاء الأخرى ، على أن هذه القصة قد ردَّها علماء النقد المحققون [١].

هذا ولم يكن ربط رجلي المصلوب عند الرومانيين وغيرهم بأقل من تسميرهما ، إن لم نقل : إنه كان الغالب في الصلب ، وفوق ذلك فإن عظامه لم تكسر كما قال يوحنا (١٩ : ٣٦) وأما طعنه بالحربة فلم تذكرها الأناجيل الأخرى ، وقصتها مشكوك فيها كما بيَّنا ، وإذا صحت فيجوز أن الحربة لم تنفذ إلى داخل الجسم ، وتكون فقط قد قطعت الجلد والشحم وبعض العضلات على أن الفعل اليوناني المترجم في الإنجيل بطعن (يو ١٩ : ٣٤) لا يفيد أن الجرح كان غائرًا كما يقول علماء هذه اللغة .

ثم إن هذه الحادثة تدل على الحياة أكثر من دلالتها على الموت ، فإنه لو كان المصلوب ميتًا لَمَا سال منه دم ، فسيلان الدم منه هو أحد الدلائل على أنه كان حيًّا ، فبعد أن سال منه جزء من الدم بطل النزف كالمعتاد .

والظاهر أن هذه القصة اخترعت قديمًا لإثبات الموت ؛ لجهلهم بعلم الطب إذ ذاك .

---

(١) راجع : كتاب دين الخوارق في الإنكليزية صفحة : ٨٣٧ و٨٣٨ .

فلهذه الأسباب كلها قال العلماء : إن المصلوب لم يمت حقيقة وإنما أغمى عليه إغماء شديدًا كما حصل لبولس بعد أن رجم (أع ١٤ : ١٩ و٢٠) فلما أنزل عن الصليب ودفئ بالكفن والكتان (مت٢٧ : ٥٩) واستراح في القبر وانتعشت روحه بالأطياب الكثيرة التي وضعها له نيقوديموس (يو ١٩ : ٤٠) أمكنه أن يقوم ويخرج من القبر ، والذي أزال الحجر عن هذا القبر هي الزلزلة التي ذكرت سابقا ؛ أو أن مسألة الحجر هذه مخترعة ؛ لأن العادة كانت أن لا يوضع هذا الحجر إلا بعد مضي ثلاثة أيام .

(راجع كتاب دين الخوارق ص ٨٣٢) .

فلما قام المصلوب ومشى قليلاً سقط ميتًا بسبب ما تحمّله من العذاب وانهماك قواه ، والجوع والعطش مدة طويلة وآلام الجروح والتهابها أو تعفنها وربما ساعد على ذلك وجود بعض أمراض في أحشائه لم تعلم أو أنه أصابه ذهول فألقى بنفسه من مكان عالٍ أو زلت قدمه فهوى ، إلى غير ذلك من الأسباب المحتملة المتنوعة التي تسبب الوفاة في مثل هذه الحالة ، ولم يعلم المكان الذي مات فيه ؛ فإن القبر كان خارج مدينة أورشليم في بعض جبالها ، وبسبب

عدم وجود الجثة في القبر نشأت هذه القصص المختلفة عن القيامة .

هذا شيء مما يقال في هذه المسألة ، وهو قليل من كثير مما يقوله علماء أوربا الآن في الدين المسيحي حتى إنه ليخيل للإنسان أنه لا يمضي زمن طويل حتى تخرج أوربا كلها عن النصرانية ، وليس ذلك بعجيب عند من يعلم أن أكبر العلماء والمفكرين هناك قد خرجوا الآن فعلاً عن هذا الدين ونبذوه وراءهم ظهريًّا ، وألفوا المجلدات الضخمة في إثبات بطلانه وفساد عقائده كلها كما يقولون .

ولا أدري لماذا يفتخر المبشرون بأوروبا وعلمها بين المسلمين مع أنه قل أن يوجد بين الإفرنج عالم مستقل الفهم والعقل يعتقد بشيء من عقائد النصرانية ، فالأولى بجماعة المبشرين بدل نشر دينهم خارج أوربا أن يحصنوه في داخلها ضد غارات هؤلاء العلماء المحققين ، وإلا خرجت أوربا كلها عن المسيحية يومًا ما ، وحينئذ لا يُجديهم افتخارهم بها وبعلمها ومدنيتها نفعًا .

هذا وإذا وجد في بعض كتابات مؤرخي الوثنيين الأقدمين

أن المسيح صلب كما في تاريخ تاسيتوس (Tacitus) المؤلَّف نحو سنة ١١٧ ميلادية ، فلا يعتد بقوله لـــوجوه :

١ - أن يكون تاسيتوس أخذ ذلك من الإشاعات الحاصـــلة في ذلك الوقت وجمهورها يؤيد ذلك كما قلنا ، ولو لاحظنا احتقار تاسيتوس للنصارى في ذلك الوقت لما استغربنا منه هذا القول الذي صدر منه بدون تحقيق ولا تمحيص لعـــدم عنايته بهم ، فهو كأقوال نصارى أوربا في القرون الوسطى في محمـــد صلى الله عليه وسلم ودينه ، فقد كانـــت كلهـــا مبنية على الإشاعات الكاذبة والاختلاقات .

ومما يدل على صحة قولنا في تاسيتوس هذا وغيره مـــن مؤرخي الوثنيين أنهم كانوا يأخذون بالإشاعات والأكاذيـــب المنتشرة حولهم ويحشرونها في تواريخهم بدون تحـــرٍّ ولا بحث - أنه دَوَّنَ في تاريخ اليهود خرافات عديدة مضـــحكة ظنها حقائق ثابتة ، كما قالت دائرة المعارف الإنكليزيـــة ، مجلد ١٣ صفحة ٦٥٨ . والحق يقال : إن الرومانيين لـــم يهتموا بالمسيح أدنى اهتمام ؛ لأنه لم يفُه ببنت شـــفة يفهـــم منها أنه يريد الخروج عليهم ، وكانت كل أعماله قاصـــرة على إصلاح حال أمته دينيًّا وأدبيًّا ولم يتبعه إلا بعض فقراء

اليهـود وأصاغرهم ؛ فلذلك لم يلتفت إليه أحد مـن غيـر اليهود ؛ فحادثة الصلب كانت من المسائل المحلية الداخليـة لهم لم يهتم بها أحد من حكام الرومان خـارج أورشـليم ؛ ولذلك صدر أمر بيلاطس فيها بدون استئذان رومية كمـا يـفهم من جميع الأناجيل [١] .

---

(١) جاء في كتاب حكايات من العهد الجديد لمؤلفه جولد الإنجليزي ص ١٢٦ أن رؤساء مدينة أورشليم لو كانوا اهتموا بأمر المسيح إذ ذاك ، لأرسلوه إلى رومية أو لأنفذوا فيـه العقوبة وحده ا هـ فإذا كانوا عاملوه معاملة اللصوص وصلبوه بينهم فهل أبلغ بـيلاطس اللصين أيضا إلى رومية ؟

إذا كان ذلك فأين ما يؤيده من تواريخ الرومان القديمة التي ذكرت حادثة الصلب لتعييـر النصارى وتحقيرهم كما يقولون ؟ فأي تحقير أبلغ من ذكر صلب إلههم بين اللصوص إذا كانوا سمعوا به ؟

وإن لم يكن بيلاطس بلغ خبر اللصين إلى رومية فلماذا إذًا أبلغ خبر المسيح إليها مع أنـه بإجماع المؤرخين لم ينظر إليه بأكثر مما ينظر به إلى آحاد اليهود وضعفائهم ؟

إذ لم يأت المسيح بأقل شيء يمس الرومان ودولتهم مطلقا .

فإن قيل : إذا كانت معجزات المسيح التي ذكرها القرآن حقيقية ، فلمـاذا لـم يـذكرها مؤرخو اليهود والرومان فيما ثبت أنهم كتبوه من التاريخ ؟

قلت : لأن جل هذه المعجزات وأعظمها كان يعملها عليه السلام بعيدًا من أورشـليم فـي بعض القرى الصغيرة أو الخلوات بين تلاميذه وبعض عامة اليهود ، وما كان يجيب أحدًا منهم عن طلبه حينما يقترحون عليه عمل المعجزات (راجع مثلاً يو ٢ : ١٨-٢٠ و٦ : ٣٠-٤٠ ومر ٨ : ١١ و١٢ ولو ٢٢ : ٦٤) وغير ذلك ، فلم يَرَ الرؤساء مـن اليهـود والرومان آياته ، وإنما كانوا يسمعون عنها من عامتهم ، حتى إن أكبر معجزاتـه وهـي إحياء لعازر بعد دفنه بأربعة أيام لم يروها بأنفسهم ، وإن سمعوا عنها ممن آمن به لأجليا من عامة اليهود (يو ١١ : ٤٥ -٤٧) وكذلك هيردوس كان يسمع عن آياته ومـا رأى

والراجح عند العلماء أن بيلاطس لم يبلغها رسميًّا للإمبراطور طيباريوس في رومية [١].

لأنها كانت من المسائل الصغيرة القاصرة على اليهود ، وكانوا غير خاضعين لشرائع الرومان في مسائلهم الدينية .

فغاية الأمر أن عيسى وهو أحدهم حكم عليه مجمع السنهدريم اليهودي بالموت ، وهو لم يكن رومانيًّا حتى

شيئا منها بنفسه حتى لم يجبه المسيح عما طلب منه (لو ٢٣ : ٨ و٩) (وما راءٍ كمن سمع ولو كان مؤمنًا فما بالك إذا كان السامع كافرًا به فيذهب في تأويل ما سمع مذاهب شتى ولا يصدق) وهؤلاء المؤرخون كانوا من خواص اليهود والرومان ولم يروا شيئًا بأنفسهم ، فما كانوا يصدقون ما يسمعون ، ولا ينتظر منهم أن يدونوا في تواريخهم ما لا يعتقدون.

أما معجزة خلق (أي تقدير وترتيب) قطعة من الطين كهيئة الطير وصيرورتها طيرًا بإذن الله ، والكلام في المهد ، فوقعتا في صِغَره وفي مدينة الناصرة وهي قرية في الخليل صغيرة حقيرة عند اليهود ولم يكن فيها أحد من كبار الرجال ومشاهير الكُتاب ، فلذلك لم يروهما أحد غير بعض أتباعه الجليليين ، فذكرتا في إنجيل توما وإنجيل الطفولية وغيرهما من الأناجيل غير القانونية عند النصارى الآن ، ونسيها الآخرون منهم لبعد زمنها ولوقوعها قبل أن يشتهر أمر عيسى بين الناس.

وأما قصة تفتح القبور وقيام كثير من أجساد الراقدين ودخولهم مدينة أورشليم وظهورهم للناس كما قال متى (٢٧ : ٥١ - ٥٤) فإنما أنكرناها ؛ لأنهم ادعوا أنها وقعت في أعظم مدن اليهود حيث يوجد كبار الرجال منهم ومن الرومان ، ومع ذلك لم يروها أحد غير متى ، ولم يروها إنجيل آخر مما كتبه نفس أتباع المسيح مع القول بأنها وقعت بعد أن ذاع صيته وكان له أتباع كثيرون .

(١) راجع : (كتاب شيوخ تاريخ يسوع ص٢٣) .

تهتم به الرومان ، وكان لا بد لهذا المجمع أن يحصل على تصديق الحاكم الروماني في بلادهم لكي يقدر على تنفيذ ما حكم به رسميًا ، نعم وكان الرومان على الحياد بالنسبة لمسائل اليهود الدينية الداخلية إلا أنه كان لا بد من تصديقهم على مثل هذه العقوبات التي يريد اليهود تنفيذها في شئونهم الدينية شأن الأمم الغالبة مع الأمم المغلوبة كما هو مشاهد في هذا العصر [١].فلم يكن ثَمَّ باعث لاهتمام الرومانيين بهذه المسألة حتى لو بلغ الحكومة خبرها رسميًا بعد وقوعها ؛ ولذلك كان مؤرخوهم يجهلون تاريخ المسيح ولم يذكره إلا قليل منهم عرضًا في كتبهم ، والغالب أن أهل روما لم يسمعوا به إلا بعد أن دخلت النصرانية إيطاليا وكانوا يحتقرون النصارى احتقارًا شديدًا ولا يهتمون بهم ولا يعرفون الفرق بينهم وبين اليهود ولا شيئًا من أخبارهم الصحيحة ؛ ولذلك يقول تاسيتوس : إن لليهود والنصارى إلهًا له رأس حمار ، ويقول سويتونيوس المؤرخ الروماني (Suetonius)في أوائل القرن الثاني : إن اليهود (يريد النصارى) طردَهم كلوديوس من روما ؛ لأنهم كانوا

---

(١) راجع : (كتاب رينان في حياة المسيح ص ١٣٤) .

يحدثون شغبًا وقلاقل فيها ، يحرضهم عليها دائما السامي أو الحسن (chrestus) يريد المسيح .

ا هـ .

وكان يظن أيضًا أن المسيح عليه السلام كان مقيمًا في رومية في ذلك الزمن ، فإذا كان هؤلاء المؤرخون إلى أوائل القرن الثاني لم يعلموا إن كان المسيح وجد في رومية أو لم يوجد ولا حقيقة عقيدة أهل الكتاب في الله ، فكيف يعول النصارى على شهادتهم ؟

فقيمة هذه التواريخ الوثنية عن مؤسس النصرانية عليه السلام هي كقيمة كتابات بعض مؤلفي الإفرنج في القرون الوسطى الذين كانوا يكتبون عن المسلمين أنهم يعبدون (ماهومت) أو غير ذلك من الأسماء ، وأن له صنمًا عندهم من ذهب في مكة أو أورشليم .

ومنهم من زعم أنه رأى هذا الصنم بعينيه إلخ ما نشر من خرافاتهم وهذياناتهم ؛ فكذلك كانت كتابة الوثنيين عن المسيح والمسيحيين .

فهي لا قيمة لها ، ولا يجوز أن يعتبر شيء منها تاريخًا صحيحًا ، فإنها كلها مبنية على الإشاعات والاختلاقات

والأوهام والأكاذيب بدون أن يكلفوا أنفسهم أقل عناء في معرفة الحقيقة .

ولم يكن للنصارى إذ ذاك شأن عندهم حتى يلتفتوا للبحث في تاريخهم؛ ولذلك جهلوا حتى اسمهم واسم رئيسهم يسوع[١] عليه السلام ؛ فإذا قالوا : إنه صلب ، أو: عبده جميع النصارى من دون الله أو غير ذلك ؛ فهي أقوال لا يهتم به أحد من المسلمين ؛ فإنها صادرة عن قوم لا يفهمون من أمر النصارى شيئًا ، وربما قاسوا بعض معتقداتهم على معتقدات أنفسهم ، ونظروا إليها بهذا المنظار وفهموها خطأ؛ فظنوا أنها إما خرافات وخزعبلات كما قالوا في كتبهم عنها؛ أو أنها تحوير لعبادتهم للآلهة الرومانية قام به المتنصرون منهم ، أي أنهم ألَّهوا رئيسهم وعبدوه بدل تلك الآلهة الرومانية[٢] وما كانوا ليفهموا من النصرانية أكثر من

---

(١) إذا سلم أن بيلاطس أرسل عن صلب المسيح تقريرًا إلى رومة اطَّلع عليه تاسيتوس كما يدعون ، فلا يُعقل أن بيلاطس لا ينكر في هذا التقرير اسمه يسوع ، فكيف إذًا جهل تاسيتوس وغيره هذا الاسم كأنه ما سمع به أقلم يره في هذا التقرير المزعوم ! ! .

(٢) لما دخل الرومان وغيرهم في المسيحية جعلوا يوم الأحد - وهو يوم عبادة الشمس أعظم آلهتهم- العيد الأسبوعي لهم بدل سبت التوراة ؛ وجعلوا يوم ٢٥ ديسمبر (وهو يوم ميلاد الشمس أيضا) يوم الميلاد للمسيح عليه السلام ، فحملوا بذلك وبغيره وتتبع إلى النصرانية ، راجع : (تاريخ جولد مجلد ١ ص٥٤) .

هذا أو نحوه كما كان يظن الأوروبيون أن المسلمين يعبدون محمدًا عليه السلام وجهلوا اسمه كما جهل الرومان اسم يسوع ، وجعلوا له ثلاثة آلهة أو ثالوثًا قياسًا على ثالوثهم(١).

والخلاصة أن أمثال هذه التواريخ المبنية على مثل هذه الأوهام والجهل لا تفيد النصارى شيئًا ؛ وهي لا قيمة لها بالمرة فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين ؛ هذا إذا كانت خالية من التحريف ، فكيف وما خلت منه ، كما في الوجه الآتي :

٢- إن هذه العبارة المذكورة في تاريخ تاسيتوس قال فيها كبار العلماء من المحققين في أوربا : إنها إما أن تكون مدسوسة عليه أو محرفة بالزيادة (٢).

وقد بين هؤلاء العلماء دلائلهم على صحة دعواهم هذه ، ولكن يطول بنا إيرادها في مثل هذه المقالة.والحق أن المؤلفات التي وصلتنا من طريق النصارى لا يوثق بها ؛

---

(١) راجع : كتاب (الإسلام) تعريب فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بمصر .

(٢) راجع : كتاب شيود تاريخ يسوع ص ٢٠ -٥٦ ، وكتاب : ملخص تاريخ الدين لمؤلفه جولد (Gould) ص٢٢ مجلد ٣ .

لكثرة تعودهم على تحريف جميع ما نقلوه من الكتب التي وصلت إلى أيديهم سواء كانت دينية أو تاريخية أو غير ذلك، كما يعترف بذلك علماء النقد منهم الآن ، فكم من عبارة أظهروا تحريفها أو دسها !

وكم من كتب أظهروا وضعها واختلاقها ونسبتها إلى غير كاتبيها حتى لم يسلم من عملهم هذا الكتب التي توجد عند غيرهم من الأمم كتاريخ يوسيفوس الموجود عند اليهود أيضا ؛ وقد بينا ذلك في كتاب دين الله ، ص٧٩ و٨٠ منه .

فمنذ القرن الرابع حينما صارت دولة الرمان إليهم تصرفوا في كتبهم وفيما وصلهم من كتب غيرهم بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ؛ ولم يخشوا حسيبًا ولا رقيبًا .

وقد بيَّن العلامة أندريس (Andresen)أن أصل عبارة تاسيتوس هذه في أقدم النسخ المخطوطة باليد مغاير للموجود في النسخ المتأخرة في كلمة (Chrestianos) التي حرفوها إلى (Christianos) والفرق بين الكلمتين عظيم ، فإن الأولى بمعنى الطيبين والثانية بمعنى المسيحيين وكانت الكلمة الأولى(Chrestianos)تطلق على عُباد الإله المصري(Chrestus)المسمى أيضًا(Osiris) وكان عُبَّاده في

رومية إذ ذاك كثيرين من عامة الرومان ومن مهاجري المصريين ، وهم الذين كان يمقتهم الرومانيون الآخرون ، واضطهدوهم كثيرا لأسباب دينية وسياسية ؛ ولشدة كرههم لأولئك المصريين واحتقارهم لهم لم يمكنهم أن يميزوا بينهم وبين اليهود المصريين المهاجرين إليهم من الإسكندرية وغيرهم ، واعتبروهم كلهم سواء في الجنس والدين ، فلما احترقت رومية نسبوا الحريق إليهم فحل بهم ما حل من اضطهاد نيرون قيصر الرومان (Nero) كما فصله تاسيتوس في تاريخه .

فالظاهر أن بعض النصارى ظن أن تاسيتوس يريد بقوله (Chrestianos) المسيحيين أي (Christianos) فأضاف إلى تاريخه هذه العبارة للتفسير ، أي : هذا الاسم : أي (Chrestianos) منسوب إلى المسيح (Christ) الذي صلب بأمر الوالي بيلاطس في عهد الإمبراطور طيباريوس (Tiberius)مع أنه نسبة إلى (Chrestus)إله المصريين ولما لاحظ النصارى هذا الخطأ حرفوا اللفظ الوارد في كتابة تاسيتوس من (Chrestianos) إلى (Christianos) لتصح النسبة إلى المسيح (Christ) ولذلك اختلفت النسخ الحديثة عن النسخ

القديمة في هذا اللفظ ، كما حقَّقه أندريس على ما سبق ، وعليه فتاسيتوس لم يذكر المسيح في كتابه مطلقًا ، و(Chrestus) المذكور هنا هو اسم آخر لأوزيريس كما تقدم ؛ وكان يطلق أيضا على رئيس كهنة هذا المعبود بل وعلى بعض موالي الرومانيين ، وهذا يفهمنا المعنى الحقيقي لقول سوتيونيوس (Suetonius) السابق :

إن اليهود طردهم كلوديوس (Claudius) من رومية بسبب ما يحدثونه من الفتن بتحريض الحسن أو السامي (Chrestus) وهو على هذا أحد رؤساء الكهنة أو شخص آخر سمي بهذا الاسم .

وهو تفسير معقول ، ولولاه لكان سويتونيوس لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى ، ويزعم أن المسيح وجد في رومية وهو خطأ يبعد جدًّا أن يقع فيه مؤرخ مثله .

فالحق أنه لم يذكر عيسى عليه السلام كما لم يذكره تاستيتوس على ما بينا ، ولولا تحريف النصارى لكتبهما لفظًا ومعنى لَما فهم منهما غير ما قررناه ولَما توهم أحد وقوع سويتونيوس في هذا الخطأ الفظيع والجهل الفاضح الذي ينسبونه إليه .

ولما انتشرت المسيحية في رومة بقي الرومان مدة لا يفرقون بين كلمة (Chrestians) و (Christians) وكلمة (Chrestus)و (Christus) وظنوا أن المسيح هو معبود المصريين (OsiriS) القديم .

فحصل بسبب ذلك هذا الخلط والخبط حتى توهم أيضا يوستينوس (Justin) الشهيد النصراني الشهير المتوفى في القرن الثاني أن هناك علاقة بين اسم المسيحيين (Christians) وكلمة (Creston) أي حسن أو طيب ، كما في كتاب جولد المذكور (ص١٩ من المجلد ٣) .

٣ – إذا سلم أن تاسيتوس أخذ خبر الصلب من مصدر رسمي في رومية كما يدَّعون فنحن لا نقول : إن بيلاطس ورؤساء اليهود كانوا يعرفون الحقيقة بل نقول : إنهم كانوا مخدوعين ، بل ربما كان العسكر الذين قبضوا على يهوذا بعد فرار المسيح أيضا مخدوعين ؛ إذ يجوز أنهم أخذوه إلى السجن لا لمجرد تخليص أنفسهم من العقاب باتهامهم أي شخص كان ؛ بل لاعتقادهم أنه هو عيسى وساعدهم على هذا الظن شدة شبه يهوذا به وجهلهم بطرق تحقيق الشخصية (وهو العلم الذي تُوسع فيه الآن) .

وكذا عدم شدة مقاومة يهوذا لهم لتصميمه على قتل نفسه من قبل القبض عليه كما بينا ، فإذا قال لهم مرة أو مرتين حينما قبضوا عليه : إنه ليس هو عيسى ، ظنوا أنه كاذب ، وأنه يريد الفرار منهم مرة أخرى ، فلم يلتفتوا إلى قوله .

ومما ساعد على جهل الناس حقيقة المصلوب حتى انخدعوا أن هيردوس غيَّر ملابس المسيح وألبسه لباسًا أبيض لامعًا استهزاء به (لو ٢٣ : ١٠) ورده إلى بيلاطس ، فوضع بيلاطس أيضًا إكليلاً من شوك فوق رأسه وألبسه ثوب أرجوان ، وخرج به هكذا ، وحاكمه أمام اليهود (يو ١٩ : ٢-١٦) ولما حكم عليه بالصلب أخذه العسكر إلى داخل دار الولاية ، وألبسوه رداء قرمزيًا ووضعوا إكليلاً من شوك على رأسه (مت ٢٧ : ٢٨ و٢٩) وكل هذه المظاهر المختلفة تغير هيئته أمام من رآه خصوصًا من لم يعرفوه معرفة جيدة وتساعد على الوقوع في الخطأ .

وفي وقت الصلب جردوا المصلوب عن ثيابه كلها وبقي عريانًا ولا يخفى أن من لم يتعود رؤية شخص وهو عريان لا يسهل عليه معرفته بعد تجريده من ملابسه .

(انظر مر١٥ : ٢٤ -٢٧ ومتى ٢٧ : ٣٥ و٣٦) .

وكيف يعجبون من قولنا : إن النساء اللاتي كن واقفات بعيدًا عنه وقت الصلب لم تعرف الحقيقة ، ولا اللذين دفناه ، وهما ما كانا يعرفانه حق المعرفة كما بينا كيف يعجبون من ذلك ولا يعجبون من أن مريم المجدلية التي كانت تعرفه حق المعرفة ومختلطة به أتم الاختلاط ، لم تعرفه وقت القيامة مع أنها كانت واقفة بالقرب منه وكان يكلمها (يو ٢٠ : ١٥) وكذلك بعض التلاميذ الآخرين ما عرفوه مع أنه كان يمشي معهم ويحادثهم ويأكل معهم (لو ٢٤ : ١٣ - ٣٤) .

وكان الشك فيه ملازمًا لهم كلما رأوه (مت ٢٨ : ١٧ ، ولو ٢٤ : ٣٧ -٤٢ ويو٢٠ : ٢٧) .

ولماذا تغير شكله ؟ وما هو السبب في ذلك ؟

ولماذا لم يَبقَ على صورته الأصلية حتى يقنع تلاميذه بدل الشك فيه مرارًا ؟ .

أما يكفي أنه لم يره أحد غير تلاميذه ؟

فهل بعد ذلك يشككهم مرارًا في نفسه بسبب تغير هيئته (مر ١٦ : ١٢) ؟

ثم يحاول إقناعهم بصعوبة زائدة حتى بقي بعضهم شاكًّا في الجليل بعد أن رأوه في أورشليم . انظر : (متى ٢٨: ١٧).

ولا تنس أن القبض على المسيح ومحاكمته أمام مجمع اليهود ورؤسائهم كانا ليلاً ، ولا يخفى على أحد مبلغ طرق الإضاءة في تلك البلاد وتلك الأزمنة وكان ذلك أكبر وقت قضاه المسيح أمام أولئك الرؤساء .

أما محاكمته في النهار فكان وقتها قليلاً جدًّا ، وكان يختلي به بيلاطس فيها مرات (انظر يوحنا ١٨ : ٣٣ - ١٩ : ١٦) فضاع بذلك أكثر هذا الوقت القصير أيضًا ، وكان المسيح كلما خرج أمام اليهود في وقت هذه المحاكمة ، لابسًا ملابس السخرية والاستهزاء (يو١٩ : ٥) كما بيَّنا وهي طبعًا غير ملابسه العادية ولا بد أنها تغير شكله ، وعليه فكل هذه الظروف تساعد على وقوع الخطأ والاشتباه .

ومما يؤيد قولنا بهروب المسيح من السجن ، ويقرب ذلك من عقول النصارى: ما جاء في إنجيل يوحنا وهو يدل على قدرته على الاختفاء والإفلات من أيدي الناس بطرق عجيبة جدًّا خارقة للعادة ، قال ٨ : ٥٩ (فرفعوا حجارة ليرجموه،

أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطهم ومضى هكذا .

أي : بدون أن يروه ، وقال ١٠ : ٣٩ (فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم) فلِمَ لا يجوز أن يكون خرج من أيدي الحراس كما كان يخرج من أيدي اليهود على ما قال الإنجيل ولم يره أحد ؟ (راجع أيضا لوقا ٤: ٢٩ و٣٠) .

ومن الجائز أنهم لما لم يجدوه وخرج من أيديهم واختفى بهذه الكيفية التي ذكرتها الأناجيل وتحققوا من عدم وجوده بالمدينة ، خاف الحراس من العقاب وارتبكوا وخاف اليهود أن يؤمن به كثير من الناس فأخذوا عمدًا واحدًا غيره من المسجونين يشبهه أو لا يشبهه باتفاقهم مع العسكر ، وربما رشوهم بمال كثير حتى لا يبوحوا لأحد بالسر مطلقًا (انظر مت ٢٨ : ١٢) وصلبوا هذا الرجل خارج المدينة ، وأفهموا الناس أنهم صلبوا المسيح ، وكان المسيح في ذلك الوقت قد ذهب إلى الجليل أو غيره هربًا منهم وخوفًا (انظر يو ٧) ومن هناك رُفع إلى السماء فلم يعثر عليه أحد كما رُفع أخنوخ (تك ٥ : ٢٤) وإيليا (٢ مل ٢ : ١١ : ١٧) وقد منع اليهود الناس من الاقتراب من

المصلوب ؛ لئلا يعرفوا الحقيقة ، وأيضا كان من رأيهم أن هلاك واحد من الشعب خير من هلاك الأمة كلها على حسب زعمهم (يو ١١ : ٥٠) فلا يبعد أن واحدًا من رؤساء الكهنة قدم نفسه لذلك العمل كما يفعل بعض الناس للآن في زمن الحروب وغيرها .

ويحتمل أيضا أن هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالإعدام كباراباس (لو ٢٣ : ١٩) الذي قال علماؤهم : إنه كان يسمى يسوع أيضًا في أقدم تراجم المسيح ، فحذف النصارى هذا الاسم منها[1] ونظرًا لأن هذا الرجل كان محكومًا عليه بالإعدام على ما يظهر ، وكان اسمه يسوع ، فلما صلبوه ظن أنه صلب لأجل ما حدث منه من القتل والفتنة ، وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه هو المصلوب ، وبذلك تحقق قول المسيح لليهود (يو ٧ : ٣٣) (أنا معكم زمانًا يسيرًا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) .

---

(١) راجع : دائرة المعارف الإنكليزية مجلد ١٣ صفحة ٦٥٦.

واستجاب الله دعاءه برفع كأس الموت عنه (مر ١٤ : ٣٥ - ٤٢) وإلا فكيف يعقل أن الله يرد دعاء مثله[١] ؟

وعلى هذا الوجه يكون الذين كتبوا الأناجيل أناسًا لم يعرفوا حقيقة المسألة فكتبوها كما شاع في ذلك الوقت واشتهر عند أكثر الناس .

وبعد الصلب جاء يوسف ونيقوديموس وهما يهوديان من أعضاء مجلس السنهدريم وأخذا الجثة بأمر رؤساء الكهنة وأخفياها عن أعين أتباع المسيح خوفًا من أن يعرفوا الحقيقة، فتظاهرا بأنهما من أتباع المسيح في السر (يو ١٩ : ٣٨ و ٣٩) ليمنعاهم من دفنه بأنفسهم وأخذا الجثة ووضعاها أولا في قبر ولما ذهب كل من كان واقفًا من الناس نقلاها إلى موضع آخر لم يعلمه أحد .

ولما شاعت إشاعة القيامة واعتقدها بعض الناس كانت أولاً قاصرة على التلاميذ كما سبق ، ولم يجاهروا بها أمام اليهود خوفًا منهم (يو ٢٠ : ١٩ و ٢٦) وبعد نحو خمسين يومًا كما في سفر الأعمال (٢ : ١ و ١٤) بدءوا يخبرون اليهود باعتقادهم هذا .

---

(١) راجع أيضًا: (يوحنا ١٦ : ٣٢ و ٣٣) .

ولكن في ذلك الوقت كانت جثة المصلوب قد تغيرت جميع معالمها بسبب التعفن الرمي ، ولا يمكن لليهود أن يحضروها بعد إخفائهم لها ، وإذا أحضروها فلا يقتنع بها أحد ولا يمكن أن يعرفها ، فكان من العبث أن يحاول أحد إقناعهم بذلك[١] .

ولذلك سكت رؤساء اليهود عن مثل هذه الحجة التي تظهرهم بمظهر العاجز المتحير ، وظنوا أن أحسن طريقة لإسكات النصارى هي استعمال القسوة والاضطهاد لا مثل هذه المناقشة التي لا طائل تحتها .

وربما أشاع بعض عامة اليهود في ذلك الوقت فكرة سرقة تلاميذ المسيح الجثة من القبر لأنهم لم يعرفوا الحقيقة ، ولا يبعد أن بيلاطس نفسه دخلت عليه الغفلة من رؤساء الكهنة والعسكر ولم يعرف هو أيضا الحقيقة ، فإنه كان

---

(١) حاشية : هذا إذا سلمنا صحة ما جاء في سفر الأعمال ، ولكن الأظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم ، ولم يدعوهم إليها علانية إلا في القرن الثاني للمسيح ؛ ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس إليها جهرًا في تلك الأزمنة الأولى ، فكيف لم تذكر التواريخ ذلك ، ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية ؟
وقد كان عدد المسيحيين إذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون.

يحب المسيح كثيرًا هو وامرأته (متى ٢٧ : ١٩ و٢٤) فكان هؤلاء الرؤساء يخافون أن يؤمن به وخصوصًا إذا تحقق أن المسيح أفلت من أيديهم واجتاز في وسطهم بدون أن يروه كما يقول الإنجيل بعد أن كان بيلاطس يسعى في خلاصه منهم بنفسه فلم يقدر (مت ٢٧ : ١٧ - ٢٥) .

ولنا أن نسترسل في هذا الوجه ونقول كما قال متى : إن المسيح بعد ذلك عاد إلى بعض تلاميذه لما ذهبوا إلى الجليل وأخبرهم بحقيقة المسألة ، فبعضهم صدق كلامه وأنه هو ، وبقي البعض الآخر شاكًا (مت ٢٨ : ١٧) متمسكًا بما ذهب إليه أولاً من حصول الصلب له والقيامة من القبر .

أما الذين صدقوا فمن شدة حيرتهم ودهشتهم لم يفهموا منه جميع تفاصيل القصة كما لم يفهموا كلامه في أثناء حياته عن موته وقيامته على ما سبق بيانه مع أنهم لم يكونوا إذ ذاك في حالة من الحيرة والدهشة كهذه ، ولذلك فاتهم بعض أشياء من هذه القصة فاختلفوا في تصويرها للناس ، ومن ذلك نشأت فرق النصارى القديمة التي أنكرت الصلب .

وقالت : إن المصلوب واحد آخـــر غير المسيح لم يتفقـــوا على تعيينه .

وقال بعضهم : إنه سمعان القيرواني الذي تقول الأناجيل : إنه حمل الصليب (مـــت ٢٧ :٣٢) وذلـــك مثـــل طائفـــة الباسيليديين (BASILIDIANS) ، كما ذكره جـــورج ســـيل الإنكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران صفحة ٣٨ .

فإن قيل : ولماذا لم يُظهر المسيح نفســـه لليهـــود حينئـــذ ويُكذبهم في قولهم بصلبه ؟ قلت : لعله خاف منهم (يو ٧ : ١ و١٠ و١١ : ٥٤ و١٢ : ٣٦) على أن هذا السؤال وارد على النصارى بالأولى ، بأن يقال : لماذا لم يُظهر نفسه كما وعد المنكرين له بعد قيامته ؛ حتى يؤمنوا به ، وحتـــى لا يشك فيه نفس تلاميذه ؟ فما يقولونه في الجواب عن ذلك هو عين جوابنا نحن أيضًا .

هذا وإذا لم يثبت أن المسيح عاد للتلاميذ وأخبرهم بالحقيقة فلا غرابة في ذلك ؛ لأنه كان قد لمَّح لهم بها من قبل حادثة الصلب ؛ فقال لهم (يو ١٦ : ٣٢) : (هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني

وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام ، في العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) .

وقال أيضًا (يو ١٠٣ : ٣٣) : ستطلبونني ، وكما قلت لليهود (ص ٧ : ٣٤) حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ، أقل لكم أنتم الآن .

ولكن الناس قد نسوا ذلك أو شكوا فيه أو لم يفهموه كما لم يفهموا كثيرًا ومن كلامه الآخر (يو ٢١ : ٢٢ و٢٣ و٢ : ١٩ – ٢٢) ولو١٨ : ٣٤) إلخ .

وكيف يتفق قوله : إن الآب معي ، مع قول المصلوب : مت ٢٧ : ٤٦ : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟

فالحق أن الله ما تركه بل رفعه إليه ونجاه من أيدي اليهود[١].

وربما أنه بعد فراره منهم ذهب إلى الهند كما كان يهرب من أورشليم مرارًا خوفًا من اليهود ، انظر مثلاً : يو ١٠ : ٣٩ – ٤٢ و١١ : ٥٣ – ٥٧ .

وقد بيَّن ذلك الأستاذ صاحب المنار في تفسيره ، واستدل على ذلك بروايات الهنود ؛ وبوجود قبر لشخص جاءهم منذ

---

(١) راجع أيضا : كتاب دين الله ص ١٠٠ – ١٠٣ .

التاريخ المسيحيى واسمه يوزاسف ، وهو يقرب من اسم المسيح يسوع ، تعريب ييزس (Iesous) اليوناني ، ومنه ييسس الإنكليزي (Jesus) إلخ ، ويقال هناك : إن اسمه الأصلي : عيسى صاحب .

وعليه يكون المسيح مات هناك بعد أن عاش مدة قليلة في راحة وهناء ودفن ولم يرفع بجسمه إلى السماء حيًّا كما يقول كثير من المسلمين والنصارى الآن ، ويكون المراد بالرفع في القرآن الرفع المعنوى أو الروحاني .

وربما أنه هناك لم يؤمن به أحد أو آمن به قليلون انقرضوا واندمجوا في باقي أهل الهند وتلاشت عقائدهم في عقائد أولئك .

ومما يؤيد القول بعدم إيمان أحد به أنه لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل ولم يدعُ أحدًا إلى دينه سواهم (مت ١٠ : ٥ و٦ و١٥ : ٢٤) وإلى هذه الهجرة الهندية قد أشار القرآن الشريف كما قال الأستاذ السيد صاحب المنار بقوله :

(**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**)(المؤمنون : ٥٠) فأمه هاجرت معه ؛ ولذلك لم

يقف النصارى على شيء يعتد به من تاريخها بعد حادثة الصلب باليقين .

ومما يزيدك وقوفًا على اضطراب الأناجيل وخطأها في هذه المسألة وغيرها أكثر مما تقدم أن إنجيل يوحنا (وهو متأخر عنها فلذا نمت فيها العقائد أكثر) يقول : إن يحيى بن زكريا كان يعتقد أن عيسى هو حمل الله الذي يرفع الخطية عن العالم (يو ١ : ٢٩ -٣٥) مع أن الأناجيل الأخرى قالت : إنه وهو في السجن في آخر حياته لما سمع من تلاميذه عن أعمال المسيح أرسل إليه اثنين منهم يسألانه : هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره [١] ؟

ولا أدري كيف يتفق هذا مع اختراعات إنجيل يوحنا فانظر وتعجب .

ومن خطأ الأناجيل قول متى (٢٣ : ٢٣) إن الكتبة والفريسيين كانوا يدفعون العشر عن النعنع والشبث والكمون، مع أن مثل هذه الأشياء ما كان يدفع عنها شيء[٢] .

---

(١) راجع : لوقا ٧ : ١٨ - ٢٣ ومتى ١١ : ٢ - ٦ .

(٢) راجع : كتاب شهود تاريخ يسوع ص ٢٣٨ .

وقال هذا الإنجيل أيضًا عن المسيح إنه قال إن اليهود قتلوا زكريا بن برخيا بين الهيكل والمذبح (مت ٢٣ : ٣٥) مع أن الذي قتلوه هو زكريا بن يهويا داع كما في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٤ : ٢٠ و ٢١) وأما ابن برخيا أو باروخ ، فهذا قتل بعد المسيح حينما حاصر الرومانيون أورشليم كما ذكره يوسيفوس في كتابه (تاريخ حرب اليهود) وهذا مما يدل على خبط الأناجيل وخلطها في حوادث تاريخ المسيح ، فكيف يطمئن الإنسان إلى روايتها أو يثق بشيء منها مع امتلائها بالغلط والتناقض الذي بيناه مرارًا ؟.

وسنكتب إن شاء الله قريبًا شيئًا عن تاريخ هذه الأناجيل وعن بولس مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي .

فإن قيل : ألا ترى أن وقوع الصلب بهذه الكيفية التي شرحتها يشكك الناس في صدق عيسى أنه هو المسيح المنتظر ، فإنهم كانوا يتوهمون أنه يُردّ المُلك إلى إسرائيل (أ ع ١ : ٦) ؟

قلت : إذا كان الاعتقاد بصلبه لم يشككهم جميعًا في ألوهيته فكيف إذاً يشككهم في صحة مسيحيته ؟

وأي ضرر إذا شككهم في أوهامهم التي كانوا بالغوا فيها بشأن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ وهل نسيت أن باب التأويل عند الناس في مثل هذه المسائل واسع ، فإنهم يرجعون إلى أوهامهم فيحورونها وإلى نبواتهم فيؤلونها ؟ ولذلك تراهم أولوا صلبه بأن ذلك إنما فعله بإرادته رغبة منه في خلاص البشر ، مع أن المسيح كان يلح في طلب النجاة من الله (متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٤ ولو ٢٢ : ٤١ - ٤٥) وقالت أناجيلهم أنه قال : إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ وهو يدل على اليأس والقنوط من استجابة دعائه ، راجع أيضا : مزمور ٢٢ خصوصًا عدد ١٤ و١٥ منه .

وأولوا فقدان جثة المصلوب بأنه قام من الموت .

وأولوا ملك المسيح الذي كانوا ينتظرونه بأنه سيأتي قريبًا[١].

ويرد الملك لهم ويحكم في الأرض ألف سنة كما في سفر الرؤيا (٢٠ : ٤ و٧) وأن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح (يو ٢١ : ٢٢) .

---

(١) راجع : (رؤ٢٢ : ٧ و١٠ و١٢ و٢٠ ومت ١٦ : ٢٧ و٢٨ و١٠ : ٢٣ ورؤيا ٣ : ١١ ويع ٥ : ٨ وبط ٤ : ٧ ويو٢ : ١٨ وتسا ٤ : ١٥ - ١٧ وكو ١٠ : ١١ و١٥ : ٥١ ٥٢ إلخ).

فلما مات يوحنا ومضت القرون ولم يجئ رجعوا إلى عبارته في يوحنا فوجدوها لا تفيد ما توهموه ، وأولوا جميع عباراته المزعومة وعبارات غيره الدالة على قرب مجيئه (حتى ما في متى ٢٤ : ٣ و٢٩ - ٤١) .

وقالوا : إن ملكوته روحاني لا دنيوي إلخ إلخ .

وقد بين علماء الإفرنج في كثير من كتبهم أن اليهود لكثرة اختلاطهم بالأمم الوثنية وتسلطها عليهم ورؤية اليهود ما لهم من عز ومجد ومدنية ولطول زمن خضوعهم لهم يئس كثير من خواصهم أن يكون مسيحهم المنتظر سلطاناً دنيوياً مخلصًا لهم من تسلط هؤلاء الأمم الأجنبية القوية ، وتأثروا بما عندهم فاقتبسوا بعض أفكارهم الوثنية في آلهتهم التي قالوا : إنها نزلت بإرادتها إلى الأرض لخلاص البشر بالخضوع للموت والصلب ، وطبقوا هم أيضًا هذه الأفكار على مسيحهم .

فقالوا : إنه سيكون شخصًا إلهيًا أو ابنًا لله تعالى وسيرسله لتخليص الناس بالموت والصلب طائعًا مختارًا .

كما قال الوثنيون في آلهتهم ، فإن ميل اليهود للوثنية متأصل فيهم من قديم الزمان ولذلك كثيرًا ما عبدوا آلهة

الأمم وكفروا مرارًا بربهم وكانت نساء أورشليم يبكين على تموز إله البابليين الذي قتل لأجل خلاص البشر ثم قام من الموت أيضا (حز ٨ : ١٤) وهذا هو سبب ورود بعض ما يشبه هذه الأفكار الوثنية في بعض كتب العهد القديم كما في إشعيا (٥٣) وميخا (٥ : ٢-٩) فلما جاء عيسى اخترع له مؤلفو العهد الجديد بعد زمنه من الحوادث والصفات والأقوال ما يجعلهم قادرين على تطبيق أوهام اليهود القديمة عليه (راجع مثلا ع ٨ : ٢٦ - ٤٠) .

هذا إذا صح أن ما في تلك الكتب هو حقيقة إشارة إلى المسيح وصلبه وقِدمه كما يزعمون ، على أن أكثر اليهود كان يرى فيها خلاف ذلك ويعتقد أن المسيح لا بد أن يكون ظافرًا منصورًا لا مغلوبًا مقهورًا كما هو صريح أكثر النبوات الواردة في شأنه في العهد القديم ، راجع مثلاً ميخا إصحاح ٥ وزكريا ٩ : ٩ - ١٧ وملاخي ٣ : ١ - ٦ و٤ : ٥ وإشعيا ١١ : ١ - ٦ وأيضا إصحاح ٤٢ منه إذا صح زعمهم أنه في المسيح هو وما في حجي ٢ : ٦-٩) .

ولذلك كانوا يعدون الصلب أكبر عثرة في سبيل إيمانهم به كما قال بولس (١ كو ١ : ٢٣) ولكن الآخرين منهم اعتقدوا فيه كما اعتقد بولس ، وكان توهمهم صلبه مما يؤيد اعتقادهم أنه هو المسيح المنتظر لا يزعزعه ؛ فلذا كان وقوع حادثة الصلب بالكيفية التي شرحناها أولاً مما يؤيد قول فريق منهم بصحة مسيحية عيسى وينـاقض قول الآخرين.

ولو وقع عكس ذلك بأن نجا المسيح ولم يشتبهوا في غيره لاعتقد كونه هو المسيح كثيرون وخالفهم أيضًا آخرون مما يعتقدون وجوب تألم المسيح ؛ فلذا كان وقوع حادثة الصلب وعدمها على حد سواء بالنسبة لهذه المسألة .

على أن من الأوجه التي سبقت أن رؤساء اليهود صلبوا عمدًا واحدًا غيره حينما نجا منهم فلم يكونوا مخدوعين بل كانوا هم الخادعين للناس ، وبسبب غشهم هذا انقسم الناس في أمر المسيح إلى طوائف عديدة يعرفها المطلعون على تاريخ الكنيسة المسيحية ، فمنهم من جوز الصلب والعذاب على المسيح كبولس وأتباعه ووافقهم على ذلك تلمود اليهود أيضا في القرن الثاني ، ومنهم من لم يجوزه وهم جمهور

اليهود الآخرين للآن ، ومنهم من اعتقد أن المصلوب هو عيسى وأنه إنسان وإله أو كاذب ، ومنهم من قال : إن المصلوب شخص آخر ، ومنهم من يرى أن نبوات التألم والعذاب تمت أو ستتم في المسيح المنتظر ، ومنهم من يرى أنها ليست في حقه بالمرة بل في موضوعات أخرى ، ولله في خلقه شئون .

هذا وقد أفاد وقوع الصلب بهذه الصورة التي شرحناها **فوائد :**

١ – أن المسيح نجا من أذاهم .

٢ – أن يهوذا على الوجه الأول وقع في الحفرة التي حفرها للمسيح عقابا له على خيانته .

٣ – عرف الناس خطأهم في الاعتقاد بأن المسيح لا يموت (يو ١٢ : ٣٤) وبأنه يكون حاكمًا دنيويًّا يرد الملك لإسرائيل ، وأن الله لم يجعله فوق نواميس الوجود كما كانوا يتوهمون (أفسس ١ : ٢٠ و٢١) .

٤ – عرف بعض طوائفهم قديمًا وحديثًا بأنه ليس إلهًا وإلا لما صُلب ، على زعمهم رغم أنفه ، ولما دعا الله طلبًا للنجاة ولَما يئس المصلوب من رحمة الله ، ولولا ذلك لكان

اعتقاد ألوهيته عامًّا بين أتباعه جميعًا في كل زمان ومكان ، ولما قال جمهورهم : إن فيه جزءًا ناسوتيًّا حادثًا [١].

ولأجمعوا على اعتباره كله لاهوتًا محضًا ؛ لقرب عهد الأمم بالوثنية وشدة ميلهم إليها في زمانه .

راجع ما يقرب من ذلك المعنى في إنجيل برنابا (٢٢٠ : ١٤ - ٢١) .

فإن قيل : ولماذا لم يرسل الله نبيًّا بعد موته مباشرة ليخبر الناس بحقيقة المسألة حتى لا يذهبوا إلى ما ذهبوا إليه في أمر خلاص البشر بصلبه .

قلت : إن هذه العقيدة وحدها بدون دعوى الألوهية لا ضرر فيها كبيرًا سوى أنها خطأ نظري عقلي ، ولم يكن اعتقاد الصلب هو الحامل لهم على دعوى الألوهية له في مبدأ الأمر بل لم تحملهم حادثة الصلب نفسها وضياع

---

(١) حاشية : هذا إذا سلمنا صحة ما جاء في سفر الأعمال ، ولكن الأظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم ، ولم يدعوهم إليها علانية إلا في القرن الثاني للمسيح ؛ ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس إليها جهرًا في تلك الأزمنة الأولى ، فكيف لم تذكر التواريخ ذلك ، ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية ؟ وقد كان عدد المسيحيين إذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون.

الجثـــة على القول بأكثر من أنه قام من الموت كما يعتقـــد المسلمون قيام الذي مر على القرية (قر ٢ : ٢٥٩) .

وكانت الدعوة الأولى إلى المسيحية كما في كتبهـــم قاصرة على أن عيسى هو إنسان وأنه هو المسيح المنتظـــر وأنـــه صلب ولكنه قام من الموت وجعله الله ربًّا وسيدًا كما جعـــل موسى (خر ٧ : ١) رغمًا عن صلب اليهود للميسح راجع خطاب بطرس لليهود في ســـفر الأعمـــال أ ع ٢ : ٢٢ - ٣٦) ولما جاء بولس نبههم أو اخترع لهم حكمة للصـــلب وهي تخليص البشر بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة منهـــا ثلاث سنين تقريبًا اعتزل فيها الناس في بلاد العرب وفـــي آخرها ذهب إلى دمشق (غل ١ : ١٧ و١٨) وربما وافقه بعض التلاميذ على هذه الحكمـــة التـــي أرشـــدهم إليهـــا ، والظاهر أنهم خالفوه في غيرها من أفكـــاره كقولـــه بعـــدم وجوب الختان وجواز أكل ما ذبح للأوثان (راجع غل ٥ : ٢ و١ كو ٦ و٨ ورومية ١٤ وكو ٢ : ١٦ ثم اقرأ رؤيـــا ٢ : ٢ و٩ و١٤ و٣ : ٦) ولذلك ذمه يوحنا بعد موته في رؤياه هذه ، وقد سمى بولس إنجيله (إنجيل الغرلة للأمـــم غير اليهودية) (غل ٢ : ٧- ١٠) وإنجيل تلاميذ المسيح

(بإنجيل الختان) وكانت دعوتهم قاصرة على اليهود فقط كدعوة المسيح عليه السلام نفسه ،

راجع كتاب دين الخوارق Supernatural Religion فصل ٣- ٧ من الجزء الرابع .

(٢) إن اختلاف البشر أمر طبيعي أراده الله ولا بد منه، ولو أرسل الله رسولاً لبيان ذلك عقب المسيح مباشرة لآمن به بعض الناس ، وكفر به الآخرون ولما زال الخلاف من بينهم .

(٣) لما كثر الفساد في عقائد الأمم قاطبة وفي مذاهبهم وعم جميع شؤونهم الدينية والدنيوية وكثر سفك الدماء وظلم الأبرياء وخصوصًا عند النصارى - أرسل الله محمدًا على فترة من الرسل فبين لهم الحق من الباطل .

(٤) إن النصارى تقول : إن روح القدس نزل على تلاميذ المسيح بعده وأرشدهم إلى الحق في كل شيء ، فهل زال الخلاف من بين النصارى بسبب ذلك ؟ لا إننا لا نرى أمة من الأمم اشتد اقتتالها واختلافها في كل جزئية من جزئيات الدين والدنيا أكثر من النصارى ، وخصوصًا بعد نزول هذا الروح المزعوم .

فلهذا كله اقتضت الحكمة الإلهية تأخير البيان حتى اشتدت حاجة الأمم كافة ، واستعدت نفوس البشر لقبول الإصلاح بعد أن عم الفساد الأرض ، فجاء محمد على حين فترة من الرسل كما قال القرآن الشريف (٥ : ١٩) بالإصلاح الذي ينشدونه وبيان الحق الذي يتطلبونه ؛ فلذا دخل الناس في دينه أفواجًا أفواجًا ، وعم سلطانه الأرض في وقت قصير لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر ، كما بينه الأستاذ الإمام في رسالة علم التوحيد ، وإلى الآن نرى الناس يقتربون من الإسلام شيئًا فشيئًا ، حتى أوشك حكماء أوروبا وعلماؤها أن يدخلوا فيه من حيث لا يشعرون ؛ وسيكون - إن شاء الله - هو دين الإنسانية العام في الأرض كما تدل عليه بوادر الأمور ، ولا يهولنك ضعف دوله الآن ، فإن ذلك لا يعد شيئًا في جانب ما نراه من اقتراب جميع العقلاء والمفكرين من عقائده اقترابًا كليًا أو جزئيًا حتى سادت العقائد الإسلامية على أذهان كبار الناس اليوم في كل مكان (راجع ما تنشره جمعية العقليين (rationalists) كالكتب التي تصدر من مطبعة Co Walts . شركة واطس بلندرة ، ومن هذه الكتب يتضح لك صدق قوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا

فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(فصلت : ٥٣) .

استطراد لا بأس به :

بمناسبة ذكر جبل الزيتون كثيرًا في هذه المقالة نقول ما يأتي : سمي هذا الجبل بذلك لكثرة ما كان به من شجر الزيتون ، ولهذا الجبل شهرة عظيمة في تاريخ المسيح يعرفها المطلعون على الأناجيل ، والأرجح أنه أول ما نزل عليه الوحي كان عليه السلام هناك (راجع مثلا لو ٤ : ١ و٥ و ٩) لذلك أقسم الله تعالى به في قوله : (**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ**)(التين : ١-٣) .

أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرًا عن أصلها الحقيقي ؛ لأن تعاليم بوذا لم تكتب في زمانه ، وإنما رويت كالأحاديث بالروايات الشفهية ، ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها .

والراجح عندنا بل المحقق ، إذا صح تفسيرنا لهذه الآية : أنه كان نبيًا صادقًا ويسمى سكياموني أو جوتاما ، وكان في

أول أمره يأوي إلى شجرة تين عظيمة وتحتها نـزل عليـه الوحي وأرسله الله رسولاً فجاءه الشيطان ليجربه هناك فلـم ينجح معه كما حدث للمسيح في أول نبوته (راجع لو ٤ : ١ -١٣) ولهذه الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين تسـمى عندهم التينة المقدسة ، وبلغتهم (أجابالا) (Ajapala) .

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الأربعـة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم فـي ديـنهم ودنيـاهم ، فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده : (**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِـي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**)(التين : ٤) إلى آخر السورة ، ولا يـزال أهل الأديان الأربعة هم أعظم أمم الأرض وأكثرهم عـددًا وأرقاهم .

والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صـحتها بالنسبة لأصولها الأولى فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية ؛ لأنهـا أقل درجة في الصحة وأشد الأديـان تحريفًا عن أصلها كما يبدأ الإنسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي للتأكيد إلى ما هو أعلى .

ثم النصرانية وهي أقل من البوذية تحريفًا ، ثم اليهوديـة وهي أصح من النصرانية ثم الإسـلامية وهـي أصـحها

جميعًا[١]، وأبعدها عن التحريف والتبديل بل إن أصولها (الكتاب والسنة العملية المتواترة) لم يقع فيها تحريف مطلقًا .

ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية والمسيحية) أولاً ثم ديني العدل (اليهودية والإسلام) ثانيًا للإشارة إلى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولاً ثم تربية الشدة والعدل ، وكذلك بدأ الإسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب ، ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما ، وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما فلذا جُمع الأولان معًا والآخران كذلك .

وقدم البوذية على المسيحية ؛ لقدم الأولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه ، ومن محاسن الآية أيضًا : الرمز والإشارة إلى ديني الرحمة بالفاكهة

---

[١] : قال العلامة أرثر دروز (Arthur drews) في كتابه (شهود تاريخ يسوع ص ٢٩٥): إن الإسلام هو الدين العظيم الوحيد الذي نعرف عنه باليقين أن مؤسسه كان شخصًا له وجود حقيقي تاريخي .

ا هـ وقد ذكر هذه العبارة بعد أن أظهر شكه من الوجهة التاريخية في سائر مؤسسي الأديان الأخرى .

والثمرة ، وإلى ديني العدل بالجبل والبلدة الجبلية : مكة ، وهي البلد الأمين ، ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيرًا في أودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام ، وطور سيناء وهما مشهوران بهما ، فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي ، وأكرم أماكن التجلي الإلهي على أنبيائه الأربعة الذين بقيت شرائعهم للآن ، وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم[١].

فهذا هو ما أردت بيانه : (**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٍ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**) (النحل : ٩) .

وكتبه:

الدكتور : محمد توفيق صدقي

ربيع أول ١٣٣١هـ ، مارس ١٩١٣ م

---

(١) استدراك : نص كتاب صدق المسيحية The Truth Of Christianity ، في ص ٥٦٠ على أن المسيحية انتشرت قديمًا في بلاد الهند ، فلعل ذلك مما يساعد على القول بالهجرة الهندية السابقة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
دعوى إنكار محمد توفيق صدقى للسنة النبوية	٤
كلمة إنصاف واعتراف لمحمد توفيق صدقى	٥
الداعى إلى تأليف الكتاب	٨
الصليب فى اللغة	٢١
الصليب فى الحديث	٢٤
نظريتى فى صلب المسيح وقيامته	٣٣

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين